5me année No 906 — Le Caire 13-11-1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

« السنة الثامنة عشرة — ١٩٥٠ نوفمبر سنة ١٣ — ١٣٧٠ العدد ٩٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ صفر سنة

الأزهر في طوره الجديد

— ٢ —

ثم كان الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم هو المصلح الذي يرجوه الأزهر وينتظره، لأن الله جمع فيه بين الرواسب والمكاسب فالايد منه أسكل مصلح. فهو أزهري مكتمل الأزهرية في دينه وخلقه وعلمه؛ وهو سلفي معتدل السلفية في عقيدته وطريقته وفهمه؛ وهو تقدمي متئد التقدمية في اجتهاده وإصلاحه وحكمه. فإذا أخذوا على الشيخ محمد عبده أنه أنكر القديم، وسبق الزمن، واستكره التطور، وتجاهل الحوائل، واحتقر الجمود، وتحدى الحاكم؛ وأخذوا على الشيخ مصطفى المراغي أنه وصل الأزهر بأسباب السياسة تجمع كما تجمع، وتفرق كما تفرق، وتصانع كما تصانع، ورأى غاية الإصلاح أن يسترضي الشبان بالوعود، ويستمهل الشيوخ بالأماني، فلن يأخذوا على الشيخ عبد المجيد إلا أنه رجل جعل همه للأزهر ووكده للعلم وجهده للدين. ومن استولت على قلبه هذه الأمور امتنع عليه في سبيلها أن يداري في حق أو يهاوي في باطل.

وشيخ الأزهر الجديد خاتم طبقة من العلماء الجهابذ الذين كانت لهم في النفوس جلالة، وفي القلوب مهابة، لأنهم حفظوا كرامة العلم فحفظ الناس كرامتهم، وأعلوا مكانة الدين فأعلى الله مكانتهم. شب أيام الطلب بالملكة القادرة في فقه الشريعة، يتعمق أصولها، ويتقصى فروعها، ويستبطن مخاتلها، بالذهن البارع والفهم الدقيق، فكان مرجع رفاقه في تفسير ما أشكل من المسائل، وتوضيح ما أشكل من التراكيب، وتوجيه ما تعارض من الآراء. يجد في ذلك شحذة نفسه ورياضة عقله ومداومة هواه. وطل شغفه بالبحث وكلفه بالاستقصاء آثر الملذات عنده، وأظهر النزعات فيه، حتى تولى منصب الإفتاء للديار المصرية فصرف هذه القدرة العجيبة إلى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الصحيحة ومظانها المختلفة لكل ما جد من شؤون الحياة وعرض من أحوال الناس، فلم توجه إليه مسألة من مسائل الدين، ولا مشكلة من مشكلات العيش، إلا كان له فيها قول مبين أو رأي منير، حتى أربت فتاويه وحده على فتاوى المفتين جميعا. فلما بلغ سن المعاش نقل مكتب الدرس والبحث والفتوى إلى داره. فكان له كل يوم مجلس حافل يغدو إليه علماء الفقه فيدور عليهم بأفانين التهيؤ وأكواب الشاي، ثم يقدم إليهم كتابا من الكتب، أو مسألة من المسائل، فيقرأون أو يناقشون، والشيخ من ورائهم محيط بسر الكتاب، أو عابر بوجه المسألة، يقول فيستمع قوله، ويرى فيتبع رأيه. فهو بهجة الوقت في علم الفقه وأسراره، وما في ذلك خلاف.

ذلك علمه؛ وأما خلقه فشذوذ في أخلاق العصر، ولعله كذلك شذوذ في أخلاق الدهر! فإن سلوك الطريق الذي نهجه الله، والوقوف

عند الحدود التي أقامها الشرع، أمران لم يؤتهما الله إلا الصفوة من عباده المخلصين جعلهم في خلال القرون أعلاماً بمجاهل الأرض، ونجوماً في غياهب السماء. حدثني أقرب الناس إليه أن شركة الترام بالقاهرة أهدت إليه وهو يتولى الافتاء تصريحين مجانيين أحدهما لنفسه والآخر لتابعه. فأما تصريحه فالأمر فيه واضح، أغلق عليه الحرج لأنه يركب السيارة ولا يركب الترام، وانتفاع غيره به وهو مقيد باسمه حرام. وأما تصريح التابع فالأمر فيه مشكل! مَن التابع الذي يجوز له أن ينتفع بهذا التصريح؟ أهو الكاتب أم الساعي أم الخادم؟ الكاتب لا ينتقل من دار الافتاء إلا إلى داره. وانتقال الموظف من محله إلى سكنه ومن سكنه إلى محله، انتقال خاص لا يدخل في حساب المصلحة العامة. والساعي والخادم لم يخطرا على بال الشركة طبعاً حين أعطت التصريح في الدرجة الأولى؛ لأنهما بحكم العادة من ركاب الدرجة الثانية. إذن فليبق التصريح مصوناً في المكتب لا تقع عليه عين، ولا تمتد إليه يد، حتى يأتي التابع الذي يستحقه.

وفي أحد الأيام أمر خادمه أن يشتري له بعض الأشياء من السوق، فلما عاد الخادم بما اشترى، وقدم إليه الحساب بما أنفق، قال له: لم لم تحسب أجرة الترام؟ فأجابه الخادم الأمين: ركبت بالتصريح. فقال له الشيخ وقد دار دمه من الغضب: وكيف تستحل هذا والأشياء لي والتصريح ليس لك؟ ولم ينتظر الشيخ جواب الخادم وإنما نهض فركب سيارته حتى نزل في شارع محمد علي، ثم وقف في محطة من محطات الترام وانتظر حتى جاء أحد القطر فاشترى من (الكمسري) تذكرتين من تذاكر الدرجة الأولى ثم مزقهما وانصرف! وتستطيع أنت أن تعرف بالحدس ماذا فهم الكمسري وماذا قال الركاب!!

أليس هذا الخلق شذوذاً في زمن لا تصبحك فيه الصحف ولا تمسيك إلا بخبر من اختلاس ضخم، أو تزوير فاحش، أو سرقة فظيعة، أو رشوة فاضحة، أو خيانة عظمى؟

ألم يكن موقفه المعروف من تعيين صديقه الحميم المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر غريباً في مألوف هذا العصر الذي أبطل الحق بالجاه، وعطل القانون بالمال؟ لقد كان الحق أعز عليه من الصداقة، والقانون أقوى لديه من المكرمة. وفي سبيل الحق والقانون تعرض الشيخ لما يتعرض له الأحرار الأبرار من طغيان الهوى وسلطان القوة.

مثل هذا الرجل، بهذا الدين، وفي هذا الخلق، وعلى هذا العلم، جدير بأن تناط به الآمال في إنهاض الإسلام وإصلاح الأزهر؛ لأنه بفضل دينه لا يؤتى من قبل نفسه، وبفضل علمه لا يؤتى من قبل قومه، وبفضل خلقه لا يؤتى من قبل سلطانه.

* * *

تحدث الأستاذ الأكبر عن منهاجه الإصلاحي في مؤتمر صحفي عقده بدار المشيخة قال: «إن مهمة الأزهر ذات شقين: أحدهما — تعليم أبناء المسلمين دينهم ولغة كتابهم تعليماً قوياً مثمراً يجعلهم حملة للشريعة، وأمناء على الدين والفقه، وحفاظاً حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح. أما الآخر فهو القيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته وإقامة حجته ونشر دينه؛ وأنه على رعاية هذين الشقين يجب أن تقوم خطة الاصلاح في الأزهر، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه.

أما السبيل إلى إصلاح مناهج التعليم فمبدأها أن يكون العلم هو الغاية، والتزود من المعرفة هو الثمار. والعلم الذي أقصده هو الذي يطبع صاحبه بطابع الفضيلة والخلق الكريم، وتظهر آثاره في الأشخاص وأعمالهم، قبل أن تظهر في كتاباتهم وأقوالهم. والوسيلة إلى ذلك هي العناية بالكتاب. تؤلف لجان من جماعة كبار العلماء، وأساتذة الكليات والمعاهد، والمختصين في شؤون التعليم، لمراجعة الكتب الدراسية واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيهاً حسناً إلى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره. وأما السبيل إلى تبليغ الدعوة فوجهته ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية، وكتابة أبحاث في الفقه تساير الروح العلمي الحاضر، وتبرز ما في الشرع الاسلامي من مبادئ العدل والرحمة؛ ووضع مؤلفات في اللغات الأجنبية تكشف عن حقيقة الاسلام وتعرّف بمزاياه؛ ثم العناية بالبحوث الاسلامية لتفقه الناس في الدين، وتوثق العلائق بين المسلمين...»

تلك هي المقاصد العامة لخطة الاصلاح نذكرها اليوم مجملة، لنعود إلى درسها وتحليلها غداً مفصلة.

احمد حسن الزيات

عهد جديد للأزهر

للدكتور محمد يوسف موسى

الحمد لله ! ذلك ما كنا نبغي ، شيخ للأزهر له فكرة واضحة ناضجة من الإصلاح ، وبقول الشعب الثقيل الثبات لتنفيذ هذه الفكرة ، ويجمع إلى الجلالة في العلم الاستقلال في الرأي ، ومن ثم كنا أن نتفاءل بحق من أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الخير الكثير للأزهر والإسلام ، ما دام متمتعا — إلى ما ذكرنا — بتأييد مولانا جلالة الملك ، وتقدير الحكومة وعونها .

وهذه الاتجاهات الإصلاحية التي طالعتنا بها الصحف ، والتي استوحاها فضيلته من التوجيهات الملكية السامية الحكيمة بوافقه فيها الأزهر بحق جميعاً بلا ريب ، فتنها خلاصة ما يرجوه كل محب للأزهر وإصلاحه ، وليس لنا ما نزيده عليها إلا بعض التفاصيل .

ذلك بأننا نستطيع أن نقول بأن رسالة الأزهر في رأينا ذات نواح خمس :

١ — ناحية دينية بالعمل على فهم الدين فهماً عميقاً، وتنقيته مما أضافه إليه الزمن مما ليس منه ، ثم تجليته (عقيدة وتشريعا وأخلاقا) للناس جميعاً في الشرق والغرب باللغة العربية واللغات الأجنبية ، وهذا الواجب الذي يجب أن تضطلع به مراقبة البحوث الفنية .

٢ — ناحية خلقية ، بصيانة الأمة من الانحلال الخلقي ، وتكوين الخلق الصالح بالقدوة الطيبة ، وهذا مالا يكون إلا إذا أخذنا أنفسنا ، ومن في أمورهم من الناشئة ، بالمثل العليا والإقبال على المثوبات .

٣ — ناحية علمية ، بالعمل على نشر عيون التراث الإسلامي والإفادة منه ، ومما يضاف إليه من المعارف الحديثة ، في صوغ عقول النشء، وتوجيههم للخير والحق والجمال في القول والعمل .

٤ — والأزهر بعد هذا ، هو رباط ما بين الشعوب الإسلامية والمركز الثقافي الإسلامي الأكبر الذي يفد إليه كل عام الآلاف من البلاد الإسلامية ، لذلك يكون من رسالته العمل على أن يفيد هؤلاء الوافدون إليه أكبر فائدة ، حتى يكونوا متى انقلبوا إلى بلادهم رسل خير وصلاح ، وسفراء لمصر والإسلام أينما وجدوا؛ وهذا لا يكون إلا بالعناية بإصلاح مراقبة البعوث الإسلامية إصلاحاً جاداً ، وتعرف حاضر العالم الإسلامي بلداً بلداً ، ليكون من الممكن بعد ذلك معرفة حاجة كل بلد من الثقافة الإسلامية لونا وقدراً .

٥ — والأزهر ، مع ذلك كله ، جامعة ، بل أقدم الجامعات العالمية وأمجدها تاريخاً ، ولكل جامعة طابعها وأهدافها وتجاربها وتطوراتها ، وربما شركتنا بعض الجامعات الأخرى ، في الشرق أو الغرب ، في بعض ما نهدف إليه من غرض وغاية ، وخالفتنا في الطرق والوسائل . فعلى الأزهر إذاً باعتباره جامعة عالمية أن يحرص على الاتصال الصحيح بهذه الجامعات ، وإنه لواجد ولا ريب من ذلك خيراً كثيراً : تعاوناً في الوصول إلى هدف مشترك ، ووقوفاً على تطور بعض العلوم التي يعنى بدراستها وعلى ما يجد فيها من حقائق جديدة ، إلى غير هذا وذاك مما نرجوه من اتصالنا الحق بهذه الجامعات . وهنا أيضاً مجال كبير لنشاط مراقبة البحوث الفنية .

وبالإجمال ، إن للأزهر رسالة يؤديها للأمة الإسلامية في مصر ، وأخرى خارج مصر .

إن عليه في مصر أن يخرج للأمة جيلا من الناس يتميز بفهم الإسلام وتعاليمه الأصيلة فهماً عميقاً ؛ كما يتميز بعدم الاحتفال بالدنيا وزينتها ، وبالحق يصدع به وإن أغضب هذا أو ذاك ؛ حتى ليستطيع الواحد منهم أن يقول كما قال سلف له من قبل : إن الذي بيده رزقي لا يحد بيده . إن مصر في حال انحلال خلقي ، وتناء من الدين وتعاليمه كل يوم يحطم دينية وليس يمكن أن تخرج من هذا الحال الأليم إلا بالأزهر حين يرى رؤساؤه ناشئه على القول الحق والعمل الطيب .

وإن على الأزهر خارج مصر ، متى تم له إعداد هذا الجيل أن يستعين بأبنائه في الدعاية للوطن والتبشير بالإسلام ونشره في كافة أرجاء الأرض . إن أفراد هذا الجيل يكونون سفراء لمصر

الألعاب العربيـــــة

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٢ —

ومن البداهة أن الألعاب العربية — وإن كان بعضها في الأصل فارسيا — قد أدت مهمتها في شغل أوقات الفراغ لدى صبيان العرب وصباياهم مما يدل على أن قسوة الصحراء وخشونة العيش وعنجهية الطبع كل ذلك لم يمنع من إعطاء الحياة لونا زاهيا يشيع منه الفرح والمرح ويهدف إلى تسلية النفس وتسرية الخاطر وترقية الروح حتى أنجبت مصانع الفروسية فوارس الغارات وحماة الثغور.

ولا يخفى ما في هذه الألعاب من استجابة للغريزة البشرية عامة والبيئة العربية خاصة، ولعل كثيراً وكثيراً جداً مما ذكرنا من ألعاب كان سائداً في تلك البيئة التي نبع منها الشعر وفاضت به البحور.

والشعر ليس إلا نوعا من اللعب كان يلهو به العربي كلما زالت بين يديه الفراغ في الزمان والمكان جميعا، ولعل معالي أستاذنا الدكتور طه حسين باشا كان موفقا كل التوفيق إذ اعتبر «لزوميات ما لا يلزم» نوعا من اللعب الفني كان يزجي به أبو العلاء المعري وقته وهو رهين المحبسين.

ومن هنا تبرز القيمة الحضارية للألعاب العربية فلا ينبغي أن ينظر إليها الدارسون على أنها ماديات «أشكال» ولكنها في جوهر الحقيقة معالم حضارة، ومعارف حياة: فيها عرق ينبض، ودم يجري، ونسيم يرف، ورمال تسفو، وبيد يطفت، وشباب يجد ويلعب.

وإلى جانب هذا نرى الإسلام يسجل للألعاب العربية ما تستحقه من ذكر: مشجعا على النافع، مبغضا في الضار، كالقمار والميسر والأزلام وغيرها.

ومقياس النفع والضرر في العرف الإسلامي لا يشذ عن روح هذا الدين المتين وهو إعلاء الغريزة البشرية كأساس للتربية الصحيحة المتكاملة للكل من الفرد والجماعة.

والإسلام يفقهون بأقوالهم وأعمالهم إلى القلوب، ويصلون إلى الأوساط التي لا يمكن للمبشرين الرسميين الوصول إليها، ومن هنا يكون لهم من التأثير الحسن الحاسم ما لا يكون مثله لهؤلاء.

كما نعرف أن هناك في العالم المسيحي ملايين وملايين من الناس ضاقوا ذرعا بالمسيحية وأسرارها التي تحير العقول، وصاروا لا يستطيعون التوفيق بين حضارتهم القائمة على المادة والثورة وبين وصايا المسيحية القائمة على التسامح والروحية. أمثال هؤلاء وأولئك يلتمسون دينا آخر يسيرا على العقل فهمه، وفيه من المادية ومن الروحية، ويرون أن هذا الدين — على ما يسمعون — هو الإسلام، ولهذا يرجون أن يصلوا إلى فهم هذا الإسلام، ولكن يحول بينهم وبين ذلك جهلهم باللغة العربية وعدم وجود كتب سهلة التناول تعرض هذا الدين عرضاً علمياً، وقد سألني كثير من هؤلاء وأنا بباريس وحين زيارتي لألمانيا: لماذا لا يعمل الأزهر على تقريب الإسلام لهم بوضع كتاب عنه من نواحيه المختلفة، ثم يترجم هذا الكتاب لكل لغات العالم ويوزع في أقطار الأرض كلها.

وبعد، فهذا بعض ما كتبت من رسالة الأزهر صيف هذا العام، في تقرير أرجو أن أوفق قريباً لنشره، وإن كان هذا الذي كتبت لا يخرج في جوهره عن بعض ما وفق الله تعالى إليه مولانا الأستاذ الأكبر.

والآن لا نستطيع إلا أن نضرع لله أن يؤيد مولانا الأستاذ الأكبر، هو ومن يعاونه من كبار رجال الأزهر، بروح من عنده؛ وأن يوفق الجميع لإصلاح هذا المعهد الخالد، ففي ذلك كل الخير للإسلام والمسلمين.

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين

وأقرب مثل لذلك أن النبي كان يلعب وهو صبير يتيم وصاح مع الغلمان فمر به يهودي فرأى مهارته في اللعب وميزته على رفقائه فدعاه اليهودي وتوسم فيه البراعة وقال له : لتقتلن صناديد هذه القرية .

ومن هذا يتضح أن الكبار من العرب لم يكونوا ينظرون نظرة الساخرين إلى ألعاب الصبيان وإنما كانوا – وهم أصحاب الفراسة – يتحسسون « شخصية اللاعب » أثناء اللعب حتى إذا جاء الإسلام ذهب بغريزة اللعب إلى أبعد مدى تستقيم معه كرامة الإنسان .

أشاد الإسلام بمبدأ « القوة » لأن الله تعالى « ذو القوة » وهو سبحانه « القوى » « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

والمعجزات التي أيد الله بها أنبياءه إنما هي « قوى » بل كبرى تتجلى منها آيات صاحب الحول والطول حتى يسلم العبد المحدود في إمكانياته أنه « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ومن هنا أكبرت بنت شعيب قوة موسى إذ قالت لأبيها « إن خير من استأجرت القوي الأمين » ورأى موسى عليه السلام ربه فقال « وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون » فاطمأن موسى إلى تأييد ربه إذ « قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » وقال أيضا كليم الله يلتمس القوة من رب القوة ليستعين به على فرعون وملئه « واجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي ، اشدد به أزري وأشركه في أمري » .

وهذا محمد عليه السلام يقول « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » وينزل عليه من السماء « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ويرى عمر بن الخطاب رجلا يتطلع ويتماوت فيضربه ويقول « لا تمت علينا ديننا أماتك الله » .

وكان النبي يقول وهو يدخل مكة حاجا في العام السابع لهجرته « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » وكان يقول عند دخولها في عمرة الحديبية « أرملوا بالبيت ليرى المشركون قوتكم » وهذه هي المناورة المشروعة في الإرهاب المشروع .

سئل أعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء : نحو كلب وذئب ، وتسمون عبيدكم بأحسن الأسماء : نحو رزق ومرزوق ورباح فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا .

وهكذا عنى العرب بالقوة حتى في تسمية أبنائهم ليشبوا أقوياء الأجسام ومن هنا قال النبي الكريم « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا » وذلك يقصد ربط الخلف بالسلف برباط وثيق من الرمي كمظهر من القوة والشجاعة .

وكان الأنصار يستقبلون النبي يوم هجرته فيقولون : يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة – وكل بني دار يدعونه إليهم معتزين بما عندهم من عدد وعدة وسلاح وخلائف وذلك .

ولم يهمل نبي الإسلام وإمام القوة والإيمان حقوق البدن فقال : إن لبدنك عليك حقا « ذلك البدن الذي هو « بناء الله » كما سماه رسول الله إذ يقول « من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون » وكان النبي يتمنى في بدء الدعوة أن يعز الله دين الإسلام بعمر بن الخطاب لأنه كان رجلا طوالا عراضا أوتي بسطة في الجسم ، فلما أكمل به عدد المسلمين أربعين خرجوا من دار الأرقم في صفين على رأسيهما حمزة وعمر وقد انتضيا السيف وقريش تنظر مخلوعة القلب وقد أخذ الإرهاب من صناديدها ما أخذ .

ومر رجل على النبي فرأى الصحابة من جلده ونشاطه ما حداهم إلى القول : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » .

والمعروف أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي وضع الحدود لكل لهو مشروع ؛ فقد عصم الله تعالى نبيه منذ أمومة أظفاره يوم دفعته الغريزة وقصد إلى الربوة ليستمع إلى لهو السامرين وعزف العازفين في عرس بمكة ذات ليلة فضرب الله على آذانه فنام حتى الصباح ولم يتدنس طبعه بفساد .

وكان المسلمون في عصر النبي ينتظرون عودة دحية الكلبي من تجارته وهو الجسيم الوسيم فيستقبلونه بالطبول والزمور

حتى لقد كانوا يتركون النبي قائماً على منبره ويخرجون إلى دحية فنزلت « وما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » .

وإنه لتوجيه سليم لسائر الأجيال الإسلامية ينفرد به رسول الله من بين معلمي الخير وأساتذة الإنسانية إذ يقول « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » ويقول المربي الأكبر عليه السلام « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » كما يقول « تعلموا الرمي فإن ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة » .

وحث على مواصلة تعلم الألعاب فقال « من تعلم الرمي ثم نسيه فقد عصى » وقرن تعلم الألعاب بتعلم القرآن إذ قال « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس مني ؛ ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس مني » وفي رواية أخرى « فهي نعمة جحدها » .

ويزيد هذا الحديث إيضاحا وتبيانا قوله الكريم « كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة » .

ولما أدرك رسول الله أن الألعاب تبعث وقدا على النزاع عند العرب في أول عهدهم بالهجرة غدا إلى مزاولتها مهما اتسع نطاق حياتهم وامتدت رقعة دعوتهم وخرجوا بفتوحاتهم من البداوة إلى الحضارة فهو يقول « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » .

وإنه لدرس نافع من النبي المرشد إذ يقول « كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته » .

وعلى الجملة فإن الرسول الكريم إنما يهدف إلى صقل الروح وتهذيبها والسمو بها مما يثقل الكاهل من هموم وأحزان فيقول « من كثر همه سقم بدنه » وباللعب يتفادى المرء هذا السقم .

وعندئذ يبدأ مرحلة جديدة من التربية هدفها امتلاك النفس عند الغضب ، وإحكام زمامها خشية الزلل ، وقيادتها نحو معالي الأمور .

فإذا كان المصارعة هو الذي يصرع الرجال ولا يصرعه الرجال فإن رسول الله كان أول من دعا بالنظرة الحالمة إلى تنمية الغريزة وكبح جماح النفس إذ يقول « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وهذا هو الجهاد الأكبر : جهاد النفس الزكية من شتى الغرائز حتى لقد سئل النبي : ما الهجرة ؟ فقال : « أن تهجر السوء » ثم سئل فأي الهجرة أفضل ؟ فقال « الجهاد » قيل وما الجهاد ؟ قال « أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم » قيل : فأي الجهاد أفضل ؟ قال : « من عقر جواده وأهريق دمه » وقال أيضا « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » ذلك بأن الجهاد سبيل المؤمن في سبيل انتصار الحق وانتشار الخير وصدق رسول الله « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

ومن أجل هذه الغاية البعيدة وذلك الهدف الرفيع كان المربي يعلم ابنه الرماية كل يوم إذ يقول :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وفي غزوة أحد أخذ قائد الإسلام ونبي الجهاد يستعرض الصفوف وإذا رافع بن خديج وهو غلام حدث - يشب بقدميه ليبدو طويلا فلا يحرم من الجهاد والاستشهاد فرده النبي لصغر سنه فبكى رافع ، فقالوا للنبي : إنه رام ، فشفعت له الرماية وانتظم في سلك المجاهدين . ثم مر النبي القائد بسمرة بن جندب فرده أيضا لصغر سنه فقال أبوه : يا رسول الله إنه يصرع رافعا - فأمرهما النبي فتصارعا فأحسنا المصارعة فأجازهما وقاتلا أحسن القتال .

وفي هذه الغزاة كان نساء قريش يحرضن الرجال ويشجعنهم على القتال وقد أخذن المعازف والدفوف يبثثن الأناشيد والأراجيز تلهب شعور المحاربين حمية وحماسة .

وأخذ أبو دجانة سيف النبي بحقه واعتصب بالموت الأسود وأخذ يتبختر فأنكروها عليه فقال النبي « إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » وجاءت إلى النبي أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأله في جهاد النساء وأغلب الظن أنها وغيرها قد سمعت أم عمارة في دفاعها عن النبي يوم أحد - فقال للنبي « انصرفي يا أسماء واعلمي أنك من النساء إن حسن تبعل (ملاعبة) إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » من سعي وجهاد وشهود الجنائز

والجماعات .

وكان النبي أعرف الناس بفوائد السفر ومنافع الرحيل فقال « سافروا تصحوا وترزقوا » وكان يسافر إلى الشام مستبرئاً مع عمه كما كان يتاجر وهو شاب في مال خديجة فأفاد من كل ذلك فوائد جمة . وكان رسول الله مثلاً يحتذى في حياته البيتية بكل ما يخص الإنسانية إلى الرفيع من كل أمر؛ فقد حدثت أم المؤمنين عائشة قالت « خرجت مع النبي في سفر من أسفاره فنزلنا منزلاً فقال : تعال أسابقك ، فسبقته . وخرجت معه بعد ذلك في سفر آخر فنزلنا منزلاً فقال : تعال حتى أسابقك فسبقني ، ثم ضرب بيده بين كتفي وقال : هذه بتلك » .

وكان عليه السلام يقول « إذا أعيا أحدكم فليهرول فإنه يذهب الإعياء » ولحكمة اسمى الله السعي بين الصفا والمروة هرولة وجعلها من مناسك الحج .

ومن هنا تبرز صفحة جديدة في الإسلام عنوانها « لهو المؤمن » ليتبين المسلم ما أحل الله له وما حرم عليه من صنوف اللهو واللعب ، وفي هـــذا الباب يقول نبي الإسلام « خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة المغزل » .

ومما يروى عنه عليه السلام أنه - وله من العمر ست سنوات - أقام شهراً بدار النابغة مع أمه وحاضنته أم أيمن ، فلما نزل قصر بني عدي بن النجار بالمدينة نظر إلى ذلك القصر وقال : « كنت ألاعب أنيسة - جارية من الأنصار - على هذا الأطم وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائراً كان يقع عليه » ثم نظر إلى الدار وقال : « ها هنا نزلت بي أمي ، وفي هـذه الدار قبر أبي عبد الله ابن عبد المطلب ، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار » .

وكان اليهود يختلفون إليه وهو يستحم مع الصبيان في البئر فيقول أحدهم - كما تروي أم أيمن - هو نبي هـذه الأمة ، وهذه دار هجرته .

وفي الحق أن رسول الله قد مارس كثيراً من ألعاب العرب منذ صباه الأول مما كان له أكبر الأثر في نشاطه الجسماني ، ورقيه النفساني ، وتروي عنه مرضعته حليمة السعدية وتقول « ... وأنا بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان » .

وجاء في كتاب « آداب الإسلام » لابن زمنين أن النبي خرج مع أصحابه حتى انتهوا إلى غدير فسبحوا فيه فقال « ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه وأنا أسبح إلى صاحبي » فسبحوا وسبح النبي إلى أبي بكر .

وإذن فقد أضفت الأنساب على يدي النبي طابعاً خاصاً فأصبح منها ما يمكن أن نطلق عليه : « السياحة الإسلامية » كمظهر من مظاهر لهو المؤمن ، إذ أن روح الإسلام لا تفارق كل عمل يدعو إليه رسول الله؛ فإذا كانت مهمته عليه السلام هي « المؤاخاة بين الناس » فإنه لم يتخلف عنها حتى في وقت السياحة .

« يتبع »

محمد محمود زيتون

« ممنوع النصر والنقل والترجمة إلا بإذن الرسالة »

ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

- ١ -

للاستاذ حبيب الزحلاوي

لا عهد للباحث في شؤون سياسة البلاد العربية التي قسمتها معاهدة سايكس — بيكو إلى مناطق نفوذ ، وصيرت في تلك المناطق دويلات تنقصها أكثر المرافق الطبيعية ، والمصانع الضرورية لقيام الدولة ، أقول لا مناص له من الاطلاع على أغراض الدول الكبرى صاحبات الأطماع الاستعمارية والأغراض المتشابكة المتضاربة ، خصوصاً أغراض الدولة البريطانية صاحبة النفوذ والسيطرة في هذا الشرق العربي . ولا بد له أيضاً من الاسترشاد بالخطط التي وضعها أقطاب الاستعمار ، والاستئناس بالرأي الصحيح الذي يبسطه ويسطره ساسة الاستعمار في خطبهم أو في مذكراتهم ، وهي معروضة في الكتب ومتداولة بيد الكاتب والباحث والطالب والمتطفل ، ولأن من أوائل أغراض المستعمر إبقاء السواد الأعظم من المثقفين من أبناء البلاد على تهاونهم ومتاهاتهم التي هي كالبلاء النازل الذي لا مرد منه ، والقضاء المحتوم الذي لا صد له ، ولأن من أوجب واجبات الكتاب ومن إليهم من قادة الفكر والساسة المحترفين إطلاع الشعب على ما يحيط به من أمور وما يدبر له من شؤون ، أما سياسة إهمال الشعب وخداعه وتضليله وتخدير أعصابه فهي سياسة ضارة بليغة الضرر ، سيئة العواقب . وإن من أوائل ما يجب معرفته الآن ، الآن فقط هو ما يأتي .

١ — أن الخطة التي رسمتها أطماع الإنجليز ، بعد إجلائهم الفرنسويين من سورية ولبنان ، وفي صيرت سورية ولبنان والعراق وشرق الأردن ودولة إسرائيل في أوضاعها الحالية لم يبق على تنفيذها التنفيذ التام الكامل سوى اعتراف الدول وصيانة دولة إسرائيل .

٢ — أن الخطة الجديدة التي يضطلع بتنفيذها الجنرال كلايتون ، ما زالت في دور المناورات ، وستبقى تدور في محيط المحاولات حتى تزول العوائق العسيرة التي تحول دون تنفيذها فوراً .

٣ — أن تلك العوائق ليست سهلة كما يتوهم الناس استناداً إلى الصداقة الإنجليزية الأمريكية ، بل هي صعبة عسيرة بالنسبة لهذه الصداقة الأمريكية الإنجليزية ، وأن حصرها ، وتيسيرها موقوف على قرب أو بعد الحرب المقبلة ، المقبلة حتماً .

٤ — أن العوائق سواء أكانت يسيرة أو عسيرة ستذلل قبل وقوع الحرب المقبلة ، أما إذا رضي الشعب السوري أن يتغاضى عن الأميركان ، وألا يلتفت إلى الاعيبهم ، وأن يسير مع الإنجليز مدفوعاً مع مواطنيه ، وأن تتعهد كتلة رجالاته وحيث على مد يدهم إلى العراق وإلى شرق الأردن متذرعاً بالتوافق الأساسية والنظم الموحدة لبناء الدولة ، عندها فقط تكون «سورية الكبرى» لاجمهورية سورية ولا عراقية ، بل ذيلاً للمملكة العربية الهاشمية التي ربطت مصيرها بدولاب عربة الإمبراطورية البريطانية .

هذه هي الخطوة الاستعمارية الإنجليزية الجديدة التي حيتها تحوراً لخطة الجنرال كلايتون .

إذن هناك عوائق تحول دون ربط العراق والأردن بسورية فما هي تلك العوائق ؟

— لست أدري كيف أسمي تلك العوائق أو العراقيل الأميركية ولا كيف أسميها ، لأنها أقرب إلى الالاعيب السياسية منها إلى المناورات الدبلوماسية .

يقول الأميركان جهراً أنهم أبناء الإمبراطورية البريطانية البكر ، وورثتها الشرعيون ، وإن مصلحتهم التي قضت بوضع يدهم على بلاد اليونان والأتراك من جانب وعلى دولة إسرائيل والمملكة السعودية من الجانب الآخر تقتضي أن تمتد إلى لبنان ليتم الاتصال من الجانبين . ويقولون ويجهرون بمعم رضاهم من اتحاد عراقي سوري أردني يعرض وضعهم الساحلي للخطر ، ولهذا تراهم يعملون على إسقاط خطة سورية الكبرى عملاً بالمسامي التي يبذلها الجنرال كلايتون وأعوانه على الله والكتل ، يسخرون رجالاً كرجالة من سورية ولبنان والعراق منهم الشعر السمى

والشيعي والمسيحي الوراني والكاثوليكي والأرثوذكسي ، والدرزي واليهودي أيضاً .

هذا هو الواقع الذي رأيته ولمسته وسمعته ، ولكني برغم ذلك أعتقد أن الأميركان لا يساوون أي عمل سياسي أو غير سياسي بغير حلفائهم الإنجليز ، وكذلك لا يعمل الإنجليز عملا انفراديا بدون حلفائهم الأميركان . وأذكر على أن تلك الألاعيب إن هي إلا مضحك من السوريين ، وإن الغرض منها أبعد كثيراً من غاية الضحك نفسها ، وقد أمس الحقيقة أو أدنو منها إذا قلت إن الغرض الحقيقي هو إطلاع مسار العرب بمظاهر غير السكة لإدراك معاني الحياة الديمقراطية ، وتقدير المسؤولية الاجتماعية ، وجهل السياسة إطلاقا .

سمعت حوادث الأميركان ألاعيب صبيان ، ويحسن أن أسميها ألاعيب أميركانية على الطريقة الأميركية وإلى القارئ مثلا أورده للتسلية والترفيه .

للبنانيين والسوريين جاليات موزعة في جميع أنحاء العالم هاجرت منذ زمن بعيد ، واستقر بأكثرها النوى في أميركا بلاد الاجتهاد والمثابرات والكسب ، وقد صار لها فيها نشاط اقتصادي ملحوظ ، ومكانة في التجارة محترمة ، وسمعة في الأخلاق عالية .

ولكن هاتيك الجاليات ، وعددها في ولايات أميركا المتحدة وغير المتحدة أكثر من عدد سكان لبنان ، برغم البعاد البعيد ، والسنوات الشاسعة الفاصلة ، تحن حنيناً أبداً إلى الوطن وساكنيه ، لا تألو جهداً في إمداده بالمال والمعونة ، كلما دعاها داع وطني أو قومي ، أو استنجد بها مستنجد ، حاكم أو هيئة أو راع ديني .

من هذه الجاليات ، ولأول مرة في تاريخ الهجرة ، قيل لنا بلسان الصحافة اللبنانية في الوطن والمهجرة إن جمعيات لبنانية سورية ، عددها حوالي الأربعين عقد رؤساؤها الأفاضل ، مؤتمراً عاماً في نيويورك أطلقوا عليه اسم « الأحلاف السورية اللبنانية لولايات أميركا الشرقية » قرروا فيه دعوة إخوانهم الأعضاء لزيارة الوطن والأهل .

لبي الدعوة نحو من ألف سيد وسيدة ، منهم الثري واسع الثراء ، ومنهم المتوسط الحال ، وأكثرهم من المتقاعدين عن العمل ، وفيهم الصبي اليافع والفتاة الناضجة .

رحبت الحكومتان اللبنانية والسورية بالفكرة وتبنتاها ، واتفقتا على تسمية هذا المجيء الأول « بمؤتمر المغتربين » ونظمتا برنامجاً للاحتفال بالمغتربين أضياف الحكومتين وقد رصدتا لهم مبلغاً من المال وقرأاً ينفق بسخاء على إخواننا وأبنائنا « العائدين برؤوس أموالهم الضخمة يستثمرونها في بناء المصانع والمعامل وإحياء أرض الوطن » .

لبيت أنا الدعوة ، فقصدت الفرق اللبناني الرخيم يتجلى في العبرة التي ألقاها اللبناني ... ، وتلوثت الصحافة العربي والأنس البهيج في الحفلة التي أقامتها سورية في صحن آل العظم بدمشق ، ورافقت المغتربين وحضرت أكثر الاحتفالات والاجتماعات والسهرات والزيارات المدبرة ، وسعدت بلقاء إخوان وأصدقاء ومعارف لم يكن يخطر ببالي أن سألتقيهم بعد أن فرقت بيننا سبل العيش ، وانتهيت إلى سماع وفود المغتربين على أمثالي ومواقفها في كل مكان ، ووعيت أقوال الخطباء من أركان الحكومتين السورية واللبنانية ، وتيقظ ذهني لكل كلمة وردت في خطاب رئيس المغتربين ، ووعيت بعض العناية بما نشرته أكثر الصحف .

ولما عدت إلى بيتي وذا كرني ، وقفت حيران لا أدري كيف تكون المقارنة بين أقوال الداعين والمدعوين ، ولا كيف السبيل إلى التوفيق والتوحيد بين من يرى السهى فأريه القمر !

لقد رحب لبنان رسمياً « بالمغتربين العائدين بأموالهم يستثمرونها في إحياء أرض الوطن » ورحبت سورية بأبنائها « الذين غادروا البلاد عندما كانت تئن تحت وطأة الحكم الأجنبي ... ولم ينسوا أهلهم أيام محنتهم وجهادهم للاستقلال ... بل أمدوهم وأعانوهم وشاركوهم بالآلام والآمال » وهي تعترف لهم بلسان رئيس الوزراء ، بنصيبهم من أسباب الحياة القومية المتقدمة ورموحهم « مع المحافظة على ولائهم لأوطانهم الجديدة ، إلى أن يبقوا صلتهم بالوطن قوية حية لخير المشترك والمصلحة الشاملة — لتكون مؤدية لما تنشدون وننشد من دعم نهضة وتوطيد محبة وأخوة » .

أما الخطاب الذي ألقاه رئيس مؤتمر المغتربين في الجامعة السورية بحضور رئيس الجمهورية ووزراء من سورية ولبنان ،

ومدرس أعضاء الجمعية التأسيسية ومن هيئات تمثل جميع الطوائف والأديان وسفراء الدول كان خطابا جامعا لتاريخ الهجرة ، وجهاد المهاجرين ، وما حاولوا وما أفادوا وكيف تطوروا فصاروا شركاء مع الأمريكان في الحياة الديمقراطية ، وتعريفها « أنها في جوهرها طريقة في الحياة أساسها الإيمان الوثيق بقيمة الفرد وكرامته » ثم أخذ يشيد بتقسيم سورية العظيم في نهضتها الاقتصادية والعمرانية ، ورأيه « موضع فخر » وثقته بإخلاص الشعب السوري لقضية بلاده » وقال :

« كانا يبدو أن في الاتحاد قوة . . . ونحن هنا كمون أن شعبي سورية ولبنان وزعماءهما سينتهجون سياسة تعاون مستمر بين البلدين . لأن سلامة أي منهما متعلقة بالآخر »

انتقل الخطيب إلى موضوع آخر وهو ما ألفت نظر القارئ إليه قال ما نصه :

« ومنذ أمد وجيز تألف اتحاد قانوني يضم سائر الأعلاف في الولايات الأمريكية . . ولي وطيد الأمل أن تكون اجتماعاتنا هذه في سورية ولبنان عا تضمه من مندوبين من المهاجرين في مختلف أرجاء العالم ، « خطوة تمهيدية لتشكيل منظمة دولية لكافة المنتشرين » .. « ومؤتمرنا المنعقد في سورية ولبنان قد أتاح لنا فرصة نادرة لتوطيد العلاقات الوثيقة بين الأمم ، وخاصة بين الولايات المتحدة وسورية ولبنان » . . « والمهم في الأمر هو أن تكون بعملنا هذا ، أداة فعالة في وضع الأسس لمشاريع أخرى في المستقبل تساعد على نشر السلام وحسن النية بين شعوب العالم »

تلفت حول أسأل نفسي من المراد بتشكيل منظمة دولية لكافة المنتشرين وما الغرض منها ؟ ومن سنوح الفرصة النادرة لتوطيد العلاقات بين الولايات المتحدة وسورية ولبنان ؟ وكيف تتطور العلاقات بينهما وبين الولايات المتحدة وهي تناصر اليهود وتشد أزرهم على عرب فلسطين الذين ذرت بلادهم منهم وطردوا منها ؟ ومن كيف تكون جمعيات المهاجرين أداة فعالة في وضع الأسس لمشاريع تساعد على نشر السلام وحسن النية بين شعوب العالم ، وأي سلام هذا الذي ليس بينه وبين سورية ولبنان تفاهم وحسن نية غير دولة إسرائيل ربيبة ترومان وشعب العم سام ؟

وددت لو أستبين بين غرنوا على قراءة ما بين السطور أو ألفوا التعابير الرنانة والصياغات المتنوعة تعني الواحد ، ولقد كنت استعنت بسؤالي من غير تردد لو أن حكومة أمريكا هي القائلة هذا القول بلسان واحد من رجالها ، ولكني تذكرت قول الصديق الكريم أحمد رمزي بك فيرجال يرددونها يقلدون تقليدا ، وليس ببعيد أن يكون هؤلاء من أولئك .

بعثت زحلة موطن أبجدي الاستجمام والراحة ، وإذا بي أتلقى ساعة وصولي دعوة من شخصية زحلية لبنانية كريمة إلى حضور مؤتمر ليلي يضم جميع رؤساء الجمعيات التي كونت مؤتمر المنتشرين لم أستغرب الدعوة بل استغربت اجتماع هؤلاء الرؤساء في مدينة زحلة وبرنامج الاحتفالات في سورية لم ينته بعد !

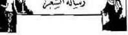
لبيت الدعوة ونفسي تحدثني بوقوع مفاجأة مسرحية تمثل هذه الرواية .

تحدث خطباء عدة كلها إشادة بالمهاجرة اللبنانية وسمعت رئيس المؤتمر شرح لرؤساء الجمعيات معاني الجمل التي وردت في خطابه وكيفية تفسيرها ، ورأيت الأستاذ سعيد عقل الشاعر المعروف بالمهيه ، وبجرأته ... فيرتجل خطابا حمل فيه حملة شعواء على أولئك الذين يلبسون عبقريات الرجال لب اللفظ بالعار ، وعلى دولة إسرائيل التي لا حد لأطماعها وتوسيع دولتها ، وعلى الدولة الهاشمية التي تريد أن تغزو بلادنا باسم النصرانية والإسلام وهي لا تحترم العرب ولا تفهم نهضة الشرق ويقول : إن كتابا قد أتم تأليفه سينشره قريبا ، وعندها يعلم الأمريكان أي إثم يجترحونه في إضعافهم العرب وتقوية اليهود ، وأي جريمة اقترفوها في فلسطين .

لقد وجم الحاضرون وسكتوا احتراما لمكانة الخطيب الشاعر ابن زحلة المحبوب .

لا داعي إلى ذكر ما حدث بعد خطاب الأستاذ عقل وارفضاض المؤتمر ، وما أوردت هذه الملاحظة المقتضبة إلا لأظهر العقلية الأمريكانية كيف تلعب بعقليات وعبقريات الرجال الضعفة أينما حل طريقها الأمريكية ، وهي تلعب في سورية كما تلعب في لبنان وبالمهاجرين أيضا .

حبيب كرمعلوري



يا أحبـــاى !

إلى الأستاذ المعاوى

الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يا أحبـــاى صدقونى رفاقى … وسقانى الحرمان كأس عذاب
أنا حران والرحيق المصفى … بيد أفلحت بسكب شرابى
وترى أخرس وكأسى ظمأى … فكأنى شوك بقفر يباب
وصباحى شبيه ليل داج … كجناح الغداف ، أمر كاب
كلمـــا لألأت بروق الليالى … غابت ابتسمة الأمانى العذاب
المسرات هشيمـــــد وهموى … مشد ودنى زهو شبابى
والأسى حارس على الدرب يمشى … أو تمر الأفراح مرآ ببابى
أنا والهم توأمان ، بكفى … صاح شوك ، وفى فى كأس صاب
ضاع يومى ضاع أمسى يمضى … وغداً .. يرمض الفؤاد ارتيابى
حياتى وهم ، لقد ضاع عمرى … يا أحباى ، فاترعوا أكوابى
صدمتنى الحياة بالواقع المـــر … وألوت بعنق فى التراب
لا تلمنى إذا تأوه شعرى … إن شعرى يروى مرير اكتئابى
إذن أججت خافيات شجونى … فاستمع « أنور » نواح الشباب
فى غد تلتقى فلا بأس أنى … حافظ الود ، ذاكر لصحابى
أنا فى وحدتى سميرى شعرى … ـ لا أملى ـ وخير صحبى كتابى
خلق الناس من تراب مهين … وخلقنا من الدنا الخلاب
أنا بالأمس قد طلبت المعالى … وأنا اليـــوم قانع بالسراب
كلما ثمت فى سمائى سعيـــداً … ماد نحسا . يا انحطاط الكواكب
فالعمر اليوم سل فى أنا ماء … كيف أستال كى أبلك ماتى

« بغداد » — عبد القادر رشيد الناصرى

قصـــــة قلب ..

الآنسة هجران شوقى .

« ليست قصة قلب بعينه ، ولكنها قصة القلوب جميعا تتصل من أسبابها بالحقيقة ، وتموه إليهم الجنة ، ولكنها تعود من رحلتها بجرحة مهيضة ، تحب وتغالى فى حبها ، ثم تعيش بذكرى هذا الحب ، وتتغذى به طول حياتها ، لا تصحب أملا ولا تغلى رجاء ، وإنما تصحب الألم وتغلب القلب .. »

« هجران شوقى »

جلست أمنى النفس بالقمر البدر … وقد سال غضيأ فى صفحة النهر
فأشرقت الدنيا بأنواره رؤى … ووقف رفيف الفكر يهتف بالشعر
يردده لحنيـــا فتحسبه صدى … لأحلى تجاوى الذنب فى سالف الدهر
ألوف من الأحلام قد سما كما الهوى … وأبهــجها أبهى المطارف والأزر
ووشحها بالشعر والحب والمنى … وضمخها بالنور والعطر والسحر
قرأت بها ماضى فاهتز خافق … وأفلت من صدرى وطار بلا حذر
... إلى أين يا قلبى ؟! أتهجر مضجعا … أراحك فى حلو الحياة وفى المر
إلى أين يا ابن الحب والشعر والأسى … أتطمع فى مدى وترغب فى هجرى
وقد كنت لى اللحن الذى ذاب رقة … وكنت لك المأوى الرى من الشدر

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

بين أزمة الكتب وأزمة القراء :

«لست أدري لماذا آثر هذا القارئ الصديق أن يخفي إسمه ؟» بهذا السؤال المترتب على جوابه بدأت تعقيبك السابق على دفاع قارئ صديق من القراء . ثم ناقشت فأبديت رأيك في الدفاع

وسحت دموع من جفون غزيرة
كأن بدمعي بعض ما جاش في فكري

فقال ابن جني : إنني اليوم مزمع
إلى حيث أدري من زماني ولا أدري

فما الحب أن تختار أو تملك الرضا
ولكنه ألا تسير على أمر

وأن تطوى الأيام شوقاً ولوعة
وتطويها الأيام شهراً على شهر

... ...

وأقفر صحوي لا ربيع ولا شذا
ولا جدول يجري ولا نجم يسري

سوى أمة مكلومة سلؤها الجوى
تردد ما بين الترائب والنحر

... ...

... ومرت ليال لست أملك عدها
ولكنها أشتى ليالي من عمري

وكنت مساء لا يذوق كآبة
رأيت به قلبي يعود إلى صدري

وجهاً تحاماه الأساة مجرحاً
كأن به ميتاً على حبه يجري

دمشق هجران شوقي

«شكلا» وفي القارئ «موضوعا» . فما كان أكرم شعورك وأحسن ظنك إذ تقول «لقد دافعت دفاعا حارا عن القراء ، لأنك قارئ مثالي ينظر إلى غيره على أنه نسخة صادقة منه .. ألا ليت القراء كانوا في مثل شغفك بالقراءة وولعك بالإطلاع ووفائك للأدب .. » وحيال هذه العبارة النبيلة يجمل بي أن أتيح مطية الوقوف بعض الوقت .. لأصرف إلى رحابك هوادي الشكر وأطلق في جوانبك ماليوب الثناء ، ولأن جبين الإجابة على سؤالك السالف إنما يكمن في أحشاء هذه العبارة النبيلة ، والأصح في تحيص هذه العبارة النبيلة . أجل يا سيدي ، فلو عرفت أن حرارة إحساسي بمدالة قضيتنا نحن القراء كانت أشد تلهبا في أعماق وأقوى اشتعالا في مسارب ذاتي من شعوري بحرارة الدفاع نفسه ، لأدركت لماذا آثر هذا القارئ الصديق أن يخفي إسمه . أما أنت فقد كنت تنظر إلى المسألة من الزاوية الأخرى .. كنت تراها قضية خاسرة ؛ أحسنت الدفاع منها ، فلا غرو أن أشيد بالدفاع ، وإن أيدت الحكم ، وأن تطرى المدافع ، وإن أدنت المتهم .

وربما كنت قارئا مجدا ، بل ربما كنت أكثر من قارئ في بعض الأحايين ، وربما كنت ذلك القارئ الذي يقتات من ثمرات السماء — أعني ثمرات الفكر — أكثر مما يقتات من ثمرات الأرض ، ويتناول من وجبات الطالعة والتثقيف أكثر مما يتناول من وجبات الطعام والشراب . وربما كان هذا واقعا من الواقع وحقيقة من الحقائق ، إلا أن هنالك واقعا آخر وحقيقة أخرى يجريان في ظل مجرى العقيدة الواعية واليقين المتغلغل ؛ هنالك آلاف غيري من القراء الشاكين ممن يتضاءل بجانب شغفهم بالقراءة شغفي ، وولعهم بالإطلاع ولعي ، ووفائهم للأدب وفائي . اشد ما يحز في نفسي ويحفظني إذن أن تقول « .. وحتى الأسواق الخارجية التي كنا نعتمد عليها في ترويج الكتاب المصري — وأعني بها أسواق سورية ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين والحجاز — قد أغلقت

في وجوهها وزارة المالية المصرية ، كأنما خانت الكتابة من رواد القراءة وطلاب المعرفة ، وتضيقت الأذواق في المشاعر وجفت الأرواح في القلوب . إنه من طائفة المثقفين عامة ولا أقول المتعلمين عامة ، إن فيها آلافاً وآلافاً من أبناء هذه الطائفة وحدها . أي هم لهؤلاء — ولو بحكم الصدمة كما يقولون — غير التهافت على ثمرات العقول وتلقف ما تقذف به أحشاء المطابع ؟ أم أنهم لا يطالعون غير الكتب الفرنسية وحدها ولا يعبئون إلا بها ولها ؟ أنا لا أصدق ، أو قل لا أحب أن أصدق هذا ، وإن زاعني إلى من أحد أبناء هذه الطائفة الكريمة نفسها . فلعله أن يكون واحداً مثاليا ينظر إلى غيره على أنه نسخة صادقة منه ... مثاليا في طموحه القاصر وقصوره المعيب ولا قياس للشواذ ولا حكم للنادر .

يخيل لي يا سيدي العزيز ، بل أعتقد ، أن التسمية الصحيحة لأزمتنا هذه إنما ينبغي أن تكون « أزمة الكتب » لا « أزمة القراء » فالكتب هي التي تعاني أزمة الكساد وعلة الركود ما في ذلك ريب . أما القراء — قراء الكتاب وغير الكتاب — فلا يزالون على وفرة في العدد وشغف بالقراءة وولع بالاطلاع وولاء للأدب . وأعني بالكساد هنا — كي أبعد عن قول شبح التناقض — ذلك الكساد المادي على وجه التخصيص . ولن يكون القارئ ، بحال هو المسئول الوحيد عن هذا الكساد . فالكتاب أنفسهم مسئولون عنه مطالبون به متسببون فيه . فلقد أوشكوا — لأمر ما — لا يدعون للقارئ فسحة من الوقت يلتهم فيها صفحات كتاب .. لكثرة ما يزحمون من وقته ويشغلون من زمنه بالمقال العابر والرأي الطائر على صفحات الورق السيار .

ودور الكتب الحكومية وفروعها من المسئولين — فيما يخيل لي — عن أزمة الكتاب أيضاً . فأنا أعرف عشرات من القراء لا ينفقون مليما واحداً في شراء كتاب رغم شغفهم بالقراءة وولعهم بالاطلاع وولائهم للأدب ، لأنهم يجدون في هذه الدور بالمجان ما يكفيهم مؤونة الشراء ومشقة البذل ، ولا عتب على القارئ ولا ملام إن هو لجأ إلى تلك الطريق كي يوفر لنفسه ثمن القميص الحريري المفوف والرباط الأنيق اللذين ليس من السهل — كما هو الحال في الكتاب — أن يستعير هذا القميص أو ذاك الرباط « استعارة داخلية أو خارجية » ولقد غدت هذه الأشياء المظهرية إحدى ، إن لم تكن أولى — ضرورات الحياة في هذا العصر — العصر الأمريكي — أو عصر الدنيا الجديدة ، إن صحت هذه التعابير . سيدي ، لست أعني أن تغلق دور الكتب أبوابها — أستغفر العقل — ولكني أرى ألا تتيح للقارئ الاطلاع على أي كتاب حديث الطبع قبل أن يمضي عام أو أكثر على عرضه في الأسواق .

ودور النشر العامة ، أو لعلها المكتبات التجارية خاصة ، مسئولة بدورها عن هذه الأزمة . ذهبت مرة لشراء بعض الكتب من إحدى تلك المكتبات المثبتة بين الأعمدة القائمة على إفريز شارع محمد علي بالقاهرة ، وما أن تعارفنا — صاحب المكتبة وأنا — حتى أشرق إشفاقه على « ماليتي العائمة » في شراء الكتب ، وأردف هذا بفكرة سعيدة موفقة يضرب لي فيها عصفورين بحجر أن يعيرني ما أرغب في مطالعته أو نسخه من الكتب لقاء قروش معدودات وبهذا — على حد قوله — يمكنني أن أطالع ستة كتب مختلفة بثمن كتاب واحد . ومعنى هذا أيضاً ، بمعناه الآخر ، أن نسجل على كساد خمسة كتب مختلفة كساداً مادياً بالغ الأثر قوي الوضوح .

أفلا توافقني أن نتفق على أنها أزمة الكتب وليست أزمة القراء ، وأن التهمة ينبغي ألا تلقى على كاهل القارئ وحده وألا يتحمل فيها تبعة الحكم بمفرده . ولا أقل من أن نوجد له شركاء في « التهمة » حتى تخف العقوبة عليه حين توزع عليهم .

وبعد .. فكم أود يا سيدي أن تنتهي إلى لقاء في الرأي على قارعة هذه المسألة ... يفضي إلى لقاء آخر قريب على صفحات

كتبك . كم أود أن أقول لك : ليس من الخير ، ولو بالنسبة إلى أصدقائك المبعثرين في مختلف أقطار العروبة ، أن "ترص" طبع ما تجيء من كتب ، حتى يكون الأدباء قادة أولا يكون . ليس من الخير أن تعيش حياتك كلها في عالم الواقع حتى لا تفقد عالم الخيال ! وما أجمل الخيال ، ما أجمله من عالم ! ليس من الخير أن تشكو من قراء الكتب ، كتبك أنت بالذات . ليس من الخير أن تشتق من اتهامهم في مقبل الأيام ، فانهم — كما قلت لك في رسالتي الأولى — على استعداد تام ، ورواتبهم فوق أيديهم ، أن أن يشتروا منك كل كتبك منذ الآن . قبل طبعها . فهلا أعنتهم على تحقيق بغيتهم واستجابة طلبهم !

كما أرسلت النظر إلى رفوف المكتبة العربية ، حيث تشع منها هذه الأسماء اللوامع : طه حسين ، العقاد ، هيكل ، أحمد أمين ، الزيات ، الحكيم ، تيمور ؛ طالعني فيها رف شاغر يرنو إليك ويهيب بك أن تسد رمقه وتروي ظمأه وتملأ فراغه .

وسلاما لك ، ممن يشرفه أن تعرف إخلاصه وتحية وتحية :

من القارئ

« طنطا » عبد الرحيم عثمان صارو

مرة أخرى أشكر للأستاذ الفاضل ثناءه ووفاءه . وأقول له إنني حين أشرت إلى إسمه في العدد الماضي « من الرسالة » ، لم أكن قد تلقيت بعد رسالته الثانية .. ومن هنا كانت الإشارة في صيغة السؤال المترجح بين الشك واليقين في انتظار الجواب . أما وقد ثبت أن القارئ المصري هو الشاعر الرقيق ، فلا حرج بعد الآن إذا ما وجهت إليه الحديث نقاشا وتحية !

ماذا أقول للأستاذ عبد الرحيم وهو يدافع عن القراء بقلبه وقلمه ؟ ثق يا أخي أني أتمنى لو أكذب من الواقع ، وأنهم ويعين يدي الدليل ، وأحكم وتسحب مني شهود الإثبات . فالواقع الذي لا مرية فيه أن الكتب في مصر مكدسة لا تجد القارئ ، والدليل الذي لا شك فيه أن المكتبات خاوية لا ترى الزائر ، وأن شهود الإثبات على صدق هذا القول أحياء يرزقون ! هل يتفضل الأستاذ الشاعر فيزورني يوما في القاهرة ؟ لأطلعه على كل عجيب وغريب ؟ سأمضي به أولا إلى جامعة فؤاد الأول ؛ تلك الجامعة التي تعد مركز الفكر وموئل الثقافة ومناط الأمل ، في تخريج جيل يحرك أو القراءة في بيت النفوس وشحذ المواهب وصقل الأذهان والأذواق . سأمضي به إلى هناك ، وعليه أن يختبر الأيدي التي تحمل الكتب والأذهان التي تختزن العلم ، والمثل العليا التي تتطلع إلى بناء الحياة . سيجد الأيدي خالية إلا من الكتب المقررة ، والأذهان فارغة إلا من بقايا المحاضرات ، والمثل العليا الفكرية تدوخ وتعدو حول صورة المادة ! إن كل همهم هو أن يظفروا في هذه الكتب ومعها لينجحوا في الامتحان ، وأن ينجحوا في الامتحان ليظفروا بالوظيفة ، وأن يظفروا بالوظيفة لينعموا بهدوء الفكر وراحة البال !

أين تبحث عن القارئ المثالي ، قارئ الكتاب النفيس ، إذا لم تبحث عنه بين جدران الجامعة ؟ هل تبحث عنه في الطرقات أم تلتمسه هناك بين الجالسين في القهوات ؟ إن عابر الطريق في مصر وقد يكون من خريجي الجامعة — يمر وهو في طريقه بمكتبة على اليمين وأخرى على اليسار ، فلا يكلف قدميه مشقة الوقوف ولا عينيه عناء النظر إلى تلك العيون الرانية إليه من وراء الزجاج .. عيون الأدب الخالد والفن الجميل ! وإن « زبون » القهوة في مصر — وقد يكون هو أيضا من خريجي الجامعة — يمر عليه بائع الكتب وهو جالس في مكانه ، فيفضل عصير الليمون على عصير الذهن ، ويصطنع الزهر على تصفح الأفكار ، وصحبة « الدومينو » و « الشيشة » على صحبة النقاد وتوفيق الحكيم !!

هذا هو حال القارئ في .. فهل يدهش الأستاذ الشاعر إذا قلت له إننا نعتمد في الترويج للكتاب المصري على البلاد العربية ؟ أؤكد له أنها حقيقة لا تقبل الجدل ، وأنني لا أمس شيئا من الحرج وأنا أطلقها سافرة بغير قناع ! إن الكتاب المصري الذي يطبع منه الناشر عددا من الألوف ، يخصص منه الجزء الأكبر لأسواق سورية ولبنان والعراق وغيرها من أقطار العروبة ، ويخصص البقية الباقية لمصر حيث يوجد الأستاذ الفاضل وغيره من القراء الثائرين !

وأعود إلى الجانب الآخر من جوانب المشكلة الأول للأستاذ

عبد الرحيم ، بالله لا تذكر ملوائف المدلين فى مثل هذا المجال . لو كان النشء المصرى يقرأ لأصبح الطالب المصرى صورة أمينة لأستاذه . هل تصدق أن معلماً له حظ من الشغف بالقراءة والولع بالاطلاع والوفاء للأدب ، ثم لا ينعكس أضواء نفسه وأضواء حسه على أفكار طلابه ؟ لو عثرت على الطالب الذى يقصر زاده على ثمرات الفكر ومتاعه على شعاب العلم وصحبته على صفحات الكتب ، فاعلم أن من ورائه الأستاذ الذى قبس له من فكره وأفاض عليه من علمه ووضح أمامه وعينيه معالم الضياء ! ولكن أين هذا الطالب ؟ .. إبحث يا صديقى من النتائج فى ضوء المقدمات !

بعد هذا يريد الأستاذ عبد الرحيم أن يثبت أن الأزمة متعلقة بالكتب وليست متعلقة بالقراء ، لأن قارئ الكتاب موجود لا شك فى وجوده ، وبخاصة فى دور الكتب العامة حيث يجد هناك ما يكفيه مشقة البذل ومؤونة الشراء .. إن ردى عليه هو أن أسأله : كم عدد المترددين على أماكن القراءة والاطلاع وكم عدد المترددين على أماكن اللهو والمتاع؟ إن شيئاً من المقارنة لكفيل بأن يضع أيدينا على هذه الحقيقة الناصعة ، وهى أن عدد الوافدين إلى دور الكتب إذا ما قيس بعدد المتسكعين فى الطرقات ، لأسقطناه فى معرض النسبة المئوية من كل حساب .. ثم بماذا نخرج من هذا الدليل الذى يسوقه إلينا ليثبت لنا أن قارئ الكتاب موجود ؟ قارئ الكتاب بلا مقابل ؟ أفى هذا ما يشجعنا نحن الأدباء على أن ندفع إلى المطبعة بما لدينا من ثمرات العقول ؟ سمها إن شئت أزمة كتب ، ثم أرجعها عن التحقيق إلى أزمة القراء ، فما أكثر ما يصيح به هذا البلد من أزمات !

ثم هذا الاقتراح الذى يرتضيه الأستاذ الشاعر ليحل به الأزمة وينهى المشكلة ويحسم النزاع ، وهو ألا تقدم دور الكتب العامة لروادها أى كتاب جديد قبل مضى عام أو أكثر على عرضه فى الأسواق .. إن دور الكتب يا صديقى تزخر بها مدينة مثل باريس حيث يقصد إليها الألوف من كل مكان ، ومع ذلك فإن تلك الدور لم تقلل من عدد المقبلين على اقتناء الكتب الأدبية ، وحسبك أن بعض كتب « سارتر » قد طبع ثلاثاً وتسعين مرة !! أريد أن أقول للأستاذ الفاضل إن الذين يريدون أن يقرأوا لا يحول بينهم وبين القراءة حائل .. وإن القارئ الحق هو الذى لا يكتفى بقراءة الكتاب منقولاً من أحد الرفوف أو مستعاراً من أحد الأصدقاء ، ولكنه الذى يبذل من وقته ليستوعبه وينفق من ماله ليقتنيه ، حتى يصبح ولديه مكتبة يرجع إليها من حين إلى حين ، ليجد فى ضيافتها الدائمة غذاء العقل والقلب والروح !

وليس من شك فى أننى لا ألقى التبعة كلها على القراء ، لأن هناك بعض العناصر المسئولة عن هذه الأزمة التى استفحل أمرها وعظم خطرها واستعصت على كثير من الحلول ولقد عرضت لهذه العناصر منذ عام مضى على صفحات الرسالة ولا أحب أن أعود إليها من جديد ، ولكن الذى يهمنى أن أعود إليه هو قول الأستاذ عبد الرحيم بأن الكتاب يتحملون شيئاً من هذه التبعة ، لأنهم يصرفون القراء عن قراءة الكتب بكثرة ما يشغلون من وقتهم بالمقال العابر والرأى الطائر بالرغم من أن المكتبات عامرة بكتب الشرق والغرب يدفع بها إليها الكتاب من هنا وهناك ، ولكن القراء — كما قلت لك من قبل — لم يطيقوا « برحمهم » أن ينفقوا عشر دقائق من وقتهم فى قراءة مقال ، وفرضين من عالمهم عنا لمجلة تحمل إليهم هذا المقال . ثم يضيقون كل الضيق بصحبة كتاب نفيس ، لأنهم يضنون عليه بالوقت الذى لن يتعدى الساعتين وبالقروش التى لن تزيد على العشرين .. إن أعصاب الأدباء بخير يا صديقى العزيز ، ولكن المسئول هو أعصاب القراء !!

أما ذلك الرف الشاغر الذى يومئ إلى من رفوف المكتبة العربية كما تقول ، فليس هناك بد من ملئه فى يوم من الأيام ، كل ما أرجوه هو أن يكون الغد القريب لا الغد البعيد هو موعدى معك ومع غيرك من الأصدقاء .. وأرحب به من لقاء !

مباراة شعرية وأخرى نقدية :

مباراة شعرية جرت بين الشعراء : شاهين وميشال معلوف وفوزى وشفيق معلوف ، فى دار شفيق الأولين وخال الآخرين ، بمناسبة سقوط فنجان قهوة من يد قرينته إزابل معلوف ربة الدار ، فجعلت للفائز الأول جائزة ثمينة وهى ساعة ذهبية .. وفيما يلى أبيات الشعراء الأربعة التى تقدموا بها إلى المباراة » .

قال شاهين :

تحمل الفنجان لما لامست … شفتاه شفتيها وانستر

وتأنت من لظاه بعدما … هو لو يدري بالجوى اعتذر

وضمته يدها من كفها … يطوى غلها أي استتر

ولو تى من وجهه مستعطفا … قدميها وهو يبكي فانكسر !

وقال ميشال :

عاش يهـــواها ولكن … في هـــواه يتكتم

كلما أدناه منهـــا … لاصق للكأس وتمّم

دأبه التقبيـــل لا ينفك حتى يتحطم !

وقال شفيق :

إن هوى الفنجان لا تعجب وقد … طار الحزن على مبسمها

كل جزء طار من فنجانها … كان ذكرى قبلة من فمها

ونظر فوزي المعلوف إلى الفنجان فإذا هو لم ينكسر فقال :

ما هوى الفنجان مختاراً ولو … خيروه لم يفارق شفتيها

هي ألقته وذا حظ الفتى … يمتدي يوماً بتقبيل يديها

لا ولا حطمه اليأس فما … هو يبكي مثل كأسها إليها

والفتى أبقاه حيا سالما … أمل العودة يوماً ليديها !

هذه المباراة الشعرية قدمها إلى صديق أديب ، منتظراً رأيي في شعر الشعراء الأربعة ، وحكمي لأيهم بالسبق والتفوق ، على أن يكون هذا الحكم مستنداً إلى ما في « الأداء النفسي » من حيثيات .. أما أنا فقد كونت الرأي وأصدرت الحكم ، بعد أن أرسلت التذوق وراء كل كلمة ، وحشدت النفس خلال كل بيت ، وأطلت الراحة بعد كل مقطوعة . وقبل أن أسجل هذا الرأي على صفحات الرسالة ، أود أن أستمع إلى الرأي العام الفني ممثلا في قراء العربية ما بين كاتب وشاعر ، لأنني أريد أن أحيل من هذه المباراة الشعرية مباراة نقدية !

وأحب أن أقول لقراء الرسالة هنا وهناك ، إنني في انتظار نقدهم لهذا الشعر ، على أن يكون حكمهم للشاعر الأثير لديهم مشفوعاً بأسباب التفضيل والإيثار . وإذا كان الفائز الأول من الشعراء قد ظفر بساعة ذهبية ، فإن الفائز الأول من النقاد سيظفر من هذا النقد .. بكلمة ذهبية !!

على محمود طه في يوم ذكراه !

يوافق الأسبوع القادم ذكرى مرور العام الأول على وفاة شاعر مصر الحديثة ، وشاعر العروبة الخالد ، الصديق العزيز الأستاذ على محمود طه رحمه الله . وفي مثل هذه الذكرى الثالثة تنتفض الأقلام حداداً على العبقري الراحل ، وتنحني الرءوس شجناً على الشاعر الفنان . ولكن العزاء الذي يملأ المكان الشاغر في دنيا الشعر ، هو أن القيثارة المحطمة ستظل تبعث أنغامها إلى الأبد ، فتحيل الموت إلى حياة ، والصمت إلى غناء ، والذكرى إلى خلود !

وفي الأسبوع المقبل أتمم إلى الروح المطمئنة إلى جوار الله .. تحية القلب وتحية القلم .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة مجيبة ديوان أخير :

كتبت فى الأسبوع الماضى كلمة من « ذكرى الزين » أجملت فيها الكلام على ديوان المرحوم الشاعر الزجال الأستاذ أحمد الزين . وقد فهم القراء مما ذكرته أن هناك شخصاً يحتجز هذا الديوان لديه ويأبى أن يقدمه إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر التى قررت طبعه ونشره .

وقد رأيت أنه لا بد — لحق الأدب ولحق اليتيم الذى تركه الشاعر — أن أذكر الحقائق التى تتعلق بهذا الموضوع والتى تتضمنها القصة العجيبة التالية :

على أثر وفاة الشاعر الفقيد توجه إلى منزله أخوه الشيخ محمد الزين القاضى الشرعى بمحكمة الزقازيق ، وهو يعلم أن أخاه الشاعر ترك ديوانه المجموع المخطوط وهو يحتوى على شعر نشر وشعر لم ينشر ، وتلطف الشيخ محمد مع زوجة أخيه الشرق ، وطلب منها الديوان ليطبعه وينشره ، فأسلمته إياه وهى واثقة من حسن نيته . ومرت الأيام ولم يطبع الشيخ الديوان ، وكلما سألته عنه زوجة أخيه أجابها بمختلف المعاذير .

وفى خلال ذلك رأت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تعمل شيئاً لتخليد ذكرى صديقها أحمد الزين وتقدير جهوده فى أعمالها الأدبية ، فقررت طبع ديوانه ونشره على أن تتنازل عن حصتها فى ثمن ما يباع من الديوان لابنه الصغير . ثم سألت اللجنة عن الديوان ابتغاء فى العمل ، فعلمت أنه لدى أخيه الشيخ محمد الزين ، فكتبت إليه بذلك وطلبت منه أن يرسل إليها الديوان ، فلم تتلق منه أى رد إلى الآن رغم مضى نحو سنتين على هذا الطلب .

وتبينت السيدة مماطلة أخى زوجها وعم طفلها اليتيم ، فى تسليم الديوان ، فلا هو طبعه ولا هو دفعه إلى اللجنة ، فى الوقت الذى تشعر فيه بالحاجة إلى ما يساعد على ضرورات العيش ، وترجو أن تحصل من الديوان على شىء يضاف إلى النزر اليسير الذى تعيش به أسرة الشاعر الكبير ! وهنا موضوع آخر تبعث إثارته الألم والأسى ، أرجئ تناوله إلى وقت آخر .

تبينت السيدة ذلك ، فهالها الأمر ، وأحزنها أن يطوى ديوان زوجها الراحل الذى كان اسمه يملأ الآفاق فى عالم الشعر العربى الحديث ، فراحت تتوسل إلى الشيخ بأصدقائه ، بعد أن أعياها رجاؤه ، دون أن يجدى ذلك شيئاً . ولذلك سألتني : ماذا يقول الشيخ وهو يطيل سوقفه ؟ قال لها مرة : إن الديوان عند رفعة النحاس باشا !! الآن رفعته ينوى عندما يتولى الوزارة (وكان ذلك قبل أن يتولى رفعته الوزارة) أن يسعى إلى ذكرى الفقيد بأن تطبع ديوانه على نفقة الحكومة . ولما تولى رفعة النحاس باشا الحكم استبشرت السيدة الطيبة القلب ، ولكن ... مر الزمن الطويل ولم يظهر ما يدل على اهتمام الحكومة بالديوان ، فعاودت مفاتحة الشيخ فى الأمر ليذكر رفعة النحاس باشا بوعده فاضطر إلى أن يقول لها إن الديوان ليس عند النحاس باشا . فبكت ووجمت ، واستمهلت ، وهى ساكنة كأن حتى فرغت ، ثم تقول :

— أترى هذا الكرسى وهذه المكتبة وهذا الدولاب ؟

— نعم .

— هل أحسست بشىء مما قلت .. ؟

— لا

— أنا كذلك !!

سبحان خالق الناس وقسم الحظوظ وجاعل الأخ مختلفاً من أخيه ! فقد كان الأستاذ الشاعر أحمد الزين وافر الحظ من دقة الإحساس ورقة المشاعر ، بل كان ذلك ثروته التى أودعها شعره ، ولعل بعض القراء يعرف أن الشيخ محمد الزين ينظم قصائد ويحاول أن يسير فى ركب الشعراء . فهل يحس أن شعره خال من الأحاسيس ويبغى أن يستمد من ديوان أخيه ما يمد به نفسه فى الشعر ؟

وإذا كان الشيخ محمد الزين حسن النية نحو ذلك الديوان ،

فلماذا لا يوضح ما يريد أن يصنع به لأم الهيثم صاحبة الحق الوحيد في ديوان أبيه ؟ ولماذا لم يرد في النجلة ليبين لها وجهة نظره في الموضوع ؟

على أنه من حق الرأي العام أيضاً أن يقف على نهية الشيخ إزاء هذا الديوان ، فهو أثر أدبي لشاعر من شعراء العصر ، يعد جزءاً من أدبنا المعاصر ، تجب صيانته من الضياع .

والشيخ محمد الزين قاض شرعي يحكم بين الناس بالعدل أفلا يستنكف قضيته أن تقاضيه أرملة أمام المحكمة وخاصة أن هناك شاهدين على أنه أخذ منها الديوان ؟

وهل يرضى معالي وزير العدل أن يحكم قاض من قضاة العدل بالحبس على ديوان شاعر يتعلق به حق يتيم ؟

وفاة برنارد شو :

مات الكاتب العالمي الكبير جورج برنارد شو يوم الخميس الماضي (٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠) عن ٩٤ عاماً ، وكان يعيش في منزله الريفي بإحدى القرى الإنجليزية عيشة ظاهرها الهدوء والعزلة ، ولكنه كان يحيا

كشكول الأسبوع

● يتضمن برنامج زيارة معالي الدكتور طه حسين بك انجلترا – بعد افتتاح معهد فاروق الأول بأسبانيا – إذاعة أحاديث وبيانات باللغة الانجليزية من الإذاعة البريطانية تدعو للصالح في مصر وحاجاته وما تم على يدي معاليه في هذا الشأن من تيسيره وتعميمه . ويشرف على هذه الإذاعة محمد فتحي بك نقيب السابق الإذاعة المصرية .

● جاء ذكر زيارة معالي الدكتور طه حسين بك لانجلترا بندوة الأستاذ كامل كيلاني ، فقال الأستاذ علي أيوب بك : إن انجلترا تحتفي بالدكتور طه لا لأنه وزير المعارف ، وإنما لأنه أديب كبير .

● سمعت أخيرة من الإذاعة المصرية قصة للأستاذ محمد الرملي ، لاحظت علاقة بين مختصر قصير وفتى ساهر وتعلق لا بساعات ، جمل كالذي في النهاية يموت وكبث الفتى ويكي ، هل هذا اتجاه جديد في الأدب وفي الحياة ؟

● كتب الأستاذ كامل الشناوي في « الأهرام » كلمة عن برنارد شو قارنت فيها بينه وبين أوسكار وايلد ، قال : « عاش أوسكار كل دقيقة من حياته القصيرة . عاش بالمرض ، وعاش برنارد شو بعض حياته الطويلة ، عاش بالطول . وهنا الشيء يعض ألفاظه هذه الأستاذ الزيات في رثائه لمرحوم على طه يوم وفاته ، فقد جاء في افتتاحية الرسالة (العدد ٨٠٦) ما يلي : قضى على عمره بالعرض لا بالطول ، وقاس عيشه بالكيف لا بالكم » والظاهر أن معنى قضاء الحياة بالعرض أنها حافلة بالأعمال أو الأحداث ، وحياة « شو » كذلك وإن كان امتداداً طويلاً . فالأستاذ الشناوي المشهود له التمييز ولكنه لم يكن دقيقاً في استخدامه .

● أنشدت الرتقال رغبتها في انشاء معهد باسم جلالة الملك فاروق في عاصمتها (لشبونة) أسوة بالمعهد الذي أمر إنشاؤه في إسبانيا .

● انتهى موعد التقديم لمسابقة المجمع اللغوي الأدبية لسنة ١٩٥٠ – ٥١ في أكتوبر الماضي ، وقد تقدم لهذه المسابقة عشرة دواوين وأربعة أبحاث وست قصص ولوائل لمه لأدب بالجميع فحص هذا الانتاج ، وينتظر أن تفرغ منه في أواخر ديسمبر القادم .

بفكره وحسه وشعوره في حياة الناس ، متجرداً من نوازع المحلية ، محلقاً فوق العالم كإنسان ممتاز . كان يكتب عن الإنسانية ، ويكتب لها ، في كل مكان ، فشع أدبه للجميع ، وترجم إلى جميع اللغات الحية ، ومثلت مسرحياته على أهم المسارح في مختلف الأقطار ، وقد مثل هو أكبر دور على مشهد من العالم أجمع ، وهو دور الكاتب الحر الذي كشف عيب الظلام وسخر من غرور الناس وانتصر للحق . ولم ننس ولا ننسى له – نحن المصريين – موقفه من حادثة دنشواى التي ندد فيها بوحشية الجيش الإنجليزي في مصر ، ولا تصويره إيانا بنيات قومه الإنجليز نحونا ونصحه بعدم الاعتماد على الباحثات السياسية والتجوء إلى الهيئات الدولية في نيل استقلالنا وحريتنا ، قائلاً بأن السبيل الوحيد إلى ذلك هو أن نستخلص حقوقنا بأيدينا .

وقد كان برنارد شو كاتباً ساخراً ولم يسلم الشعب الإنجليزي نفسه من سخريته ، وهو شعب ذو تقاليد ومقدسات ، ولكن شو لم يعبأ بذلك ، لأنه لم يكن إنجليزياً فقط ، بل كان فوق ذلك

إنساناً وكان يعيش في الحياة وكأنه فارق الأحياء ، يطل عليهم وهو يضحك من أعمالهم ويسخر من أوساطهم . ولم تزد عبرته على أن قطع ضحكه وسخريته من الأسماع !

وولد برناردشو في مدينة دبلن بإرلندا من أبوين فقيرين ، وقد وصل إلى لندن وهو في العشرين من عمره ، ولاقى في أول حياته بها متاعب كأديب ناشئ ، لا يعبأ به ، ولا تجاريه الصحف على ما يكتب فيها إلا بالقليل ، ولكنه ظل يكافح حتى وصل إلى القمة ، وقد رفض الألقاب ، وأبى قبول جائزة نوبل المادية ، لأنه لم يعد بحاجة إلى شيء من ذلك . وقد شبه جائزة نوبل التي منحت له بطوق النجاة الذي يلقى إلى من وصل إلى الشاطئ .

مات برناردشو ، فكان لوته صدى في أرجاء العالم ، واعتبرته كل أمة فقيدها ، لما له في حياة العالم كله من آثار خالدة .

تحريف بيت لأبي العلاء :

كتبت السيدة « بنت الشاطئ » في الأهرام يوم الأحد الماضي (٢٩ أكتوبر) مقالا بعنوان « عاشروا العالم أو فارقوه » قارنت فيه بين جمال البقاع في أوربا وبين الإهمال والقذارة في بلادنا . والذي يهمنا من هذا المقال ما ختمته به إذ قالت « ألا رحم الله أبا العلاء ، ما أكثر ما تذكر هذا قوله منشداً أكثر من ألف عام :

هـذي بقاع العالم معروضة   فعاشروا العالم أو فارقوا

تأملت هذا البيت كما أوردته الكاتبة فلم أجد له معنى . ماهي أو ما هو « بقاع العالم » ؟ الذي عرفته أن بيت أبي العلاء — وهو من اللزوميات — هكذا :

هـذي طباع الناس معروفة   فخالطوا العالم أو فارقوا

هذا هو « نص أبي العلاء » وفيه تظهر المناسبة بين طباع الناس على علاتها وبين مخالطتهم على ما هم عليه أو مفارقتهم . وهذا المعنى العلائي لا ينسجم مع مضمون المقال الذي سبقت الإشارة إليه ، فلا بد إذن أن الكاتبة الفاضلة أرادت أن تطوعه بمناسبة ما عرضته ، ولكنه بالصورة التي ظهر بها غير مفهوم على أي حال . قلت في نفسي : لا بد أنها أرادت أن تجعل البيت هكذا :

هذي بقاع العالم معروضة   فعاشروا العالم أو فارقوا

أي أن تلك البقاع الأوربية التي زارتها وأعجبت بها هي التي وصفت ، وعلينا نحن المصريين — أن نجعل بلادنا مثلها إذا أردنا أن نكون مثل ذلك العالم الراقي ، أو ... لست أدري ماذا نعمل . .

وجاءت الطبعة لجملة « بقاع » ـ « متاع » ، وجاء التصحيح فوجد البيت مكسوراً ولمح موضع التكسير في كلمة « العالم » فجعلها « فعلم » ليستقيم الوزن ، ولعله رأى خلو العبارة من المعنى ولكنه آثر أن يكون البيت موزوناً ولا معنى له على أن يكون كذلك وهو مكسور ، وأمر واحد أخف من اجتماع أمرين .

وعلى ذلك ظهر البيت كما ظهر ، وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحاً فماذا عسى أن يكون ؟!

ثم ذكرت يوماً حضرت فيه مناقشة رسالة قدمتها الكاتبة الأديبة لنيل درجة الدكتوراه ، موضوعها تحقيق نص رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، وقد شرحت للجنة الامتحان ما ثبته من عناء في ذلك التحقيق وأكدت محافظتها على النص وتقديسها إياه ، وكانت تجيب على بعض الأسئلة بأن « النص هكذا » وقد أفرطت في ذلك حتى حسبنا أن « النهج الخاص » الذي سارت عليه ليس مقدارا (٥ تو شرافيا) ولم يكن ذلك فقط ، بل إنها حملت على من سبقوها في تحقيق رسالة الغفران لأنهم لم يحافظوا على النص ، وشغلت بهذه الحملة نحو سبعين صفحة من الرسالة ، مما جعل الدكتور طه حسين يشير إلى الإعجاب بإسرافها بالزهو والغرور .

فما بال الدكتورة قد تخلت عن منهجها في المحافظة على النص إذ نسبت إلى أبي العلاء ما لم يقله : لقد تحدث أبو العلاء عن طباع الناس وخير بين معاشرتهم على علاتهم أو مفارقتهم ، والحق أنه لم ير بقاع سويسرا حتى يحثنا على التشبه بأهلها ، ولو لم تقل الدكتورة « منذ أكثر من ألف عام » لافترضنا أن ثمة شاعراً آخر معاصراً غير المعري اسمه أبو العلاء ...

ولو أن أحداً آخر غير الدكتورة فعل ذلك ببيت أبي العلاء لكان الأمر أهون ، لأنها ترى بل تعتز بالمحافظة على « النص » والشأن كما قال أبو العلاء في أول الأبيات التي جاء فيها ذلك البيت :

ما ركب المأمون في دهره   أقبح مما ركب السارق

فسرقة السارق لاعتياده على السرقة أمر عادي ، أما المأمون المفروض فيه الأمانة فخياناته لا تغتفر . والدكتورة لما علمناه من حرصها على النص ، في مكان « المأمون » فلم يكن يليق بها أن تصنع ببيت أبي العلاء ما صنعت .

عباس خضر

رسالة الفن

مسرحية شجرة الدر

تأليف : عزيز أباظة باشا . إخراج الأستاذ فتوح نشاطي . تمثيل الفرقة المصرية على مسرح دار الأوبرا الملكية .

تحليل ونقد بقلم الأستاذ أنور فتح الله

افتتحت الفرقة المصرية موسمها التمثيلي بهذه المسرحية الشعرية . ولقد كان المؤلف موفقاً في اختيار شخصية شجرة الدر لتكون موضوعاً لمسرحيته ، ذلك لأن شخصية شجرة الدر شخصية بارزة في التاريخ المصري . ولأنها أول ملكة مسلمة اعتلت عرش مصر ، في وقت كان الصليبيون فيه يهددون استقلالها ، والمماليك في الداخل يتآمرون على عرشها . وأصل عصر المماليك الزاخر بالأحداث والدسائس هو أصلح العصور التاريخية لأن يكون مادة للمسرح المصري .

وأحداث المسرحية التاريخية تقع بين اعتلاء شجرة الدر عرش مصر وقتل عز الدين أيبك . وقد سلط المؤلف أضواءه على هذه الفترة التاريخية ليكشف عما يرقد تحت خطوط التاريخ من دوافع نفسية تسلطت على أبطال التاريخ وسيطرت على أعمالهم السياسية .

وشجرة الدر في نظر التاريخ كانت جارية من جواري الملك الصالح أيوب ، فأحبها وتزوجها . وكانت تعيش في عصر تعصف به الأهواء والأطماع السياسية . وعندما تقدمت السن بزوجها اعتلى عرش مصر ، فكانت خير مشير له ، وكان الصليبيون يحاربون في داخل البلاد عندما مرض الملك ، فتولت شجرة الدر وحدها شؤون السياسة والحرب ، ومات الملك فأخفت خبر موته حتى لا يؤثر ذلك في عضد الجيش ، وعندما انتصرت جيوش مصر ، وأسر الملك لويس التاسع في المنصورة ، أعلنت شجرة الدر موت الملك ، وأرسلت في طلب ولي العهد « طوران شاه » من الشام وبايعته بالملك . وكان شخصاً سكيراً غارقاً في الملذات . وعندما أراد التخلص من شجرة الدر قتله أنصارها وبايعوها بالملك .

وأرادت شجرة الدر وهي الخبيرة بشؤون السياسة والحكم أن تجمع المصريين والمماليك من حولها ، لتقضي على التحزب الذي يهدد الملك ، فأثار هذا حفيظة المماليك ، وغرر عليها أمراء الشام ولجأوا إلى خيانتها مع الفرنسيين ، فأطلقت سراح ملك فرنسا ، وشكاها الأفراد إلى أمير المؤمنين في بغداد ، فقرر عزلها . وتولى الملك الأشرف عرش مصر ، وعين عز الدين أيبك وصياً عليه فألقى بالملك في السجن ، وقبض على زمام الملك ، واتخذ من زوجته شجرة الدر . وعندما علمت أنه سيتزوج ابنة صاحب الموصل أغرت بعض خدمها فقتلوه في الحمام .

ولنبين ما أضافه المؤلف إلى التاريخ ، ومدى تمسكه به علينا أن نستعرض المسرحية .

يبدأ المؤلف مسرحيته ، فأبرز الأمير نجم الدين « الملك الصالح فيما بعد » وهو جالس في خيمته في الصحراء ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر ، وقد دخل عليه رجاله ، بيبرس ، وقطز وقلاوون ، وعز الدين أيبك . . ثم يدخل العراف فيبلغهم بأن كلا منهم سيتولى عرش مصر . . فيسخرون منه ، فيخرج وهو يقول : قلت حقاً وكان علم الله إن سخراً منكم سبا كل بحقا

ولقد كانت هذه المقدمة لفتة بارعة من المؤلف ، ذلك لأنها تمهد لجو الدسائس والمؤامرات وهو الجو العام للمسرحية ، وترمز إلى ما حدث في التاريخ ، وتقدم أبطال المسرحية إلى المشاهد . ومن الناحية الفنية ، فإن عرض المقدمة في شكل مشهد تمثيلي أقرب إلى طبيعة المسرح من المقدمة Apologue التي كانت في بداية المسرحيات الكلاسيكية وبعض المسرحيات التاريخية الحديثة ، والتي كانت في صورة مقطع يلقيه ممثل قبل بداية التمثيل ليعرف المشاهد بموضوع المسرحية ، أو في صورة دیالوج ليؤدي نفس الغرض .

– ويبدأ الفصل الأول وشجرة الدر ملكة على مصر . . نرى الجارية هيام تتآمر عليها ، وتسعى إلى استمالة قائد الجيش « أقطاي » إلى جانبها . . ونرى بيبرس وقلاوون وقد عادا من

الشام ليخبروا الملكة بأن أمراء الشام قد أجمعوا على خيانة مصر.. وهنا تعلن شجرة الدر بأن مرميت ملكة فرنسا قد قدمت إليها كتبا من أمراء الشام تثبت خيانتهم ، ولهذا رأت أن تطلق لويس التاسع من أسره . ويخرج الأمراء بعد أن تكلف بيبرس بمهمة في بغداد .. ثم تستبقي عز الدين أيبك . فتراه يؤيد رأيها ، ويجيد تدبيرها ويبوح لها بهواه .. ويلح في طلب الزواج منها . فتعده الزواج ، وتطلب منه أن يكون عونا لها على أعباء الملك ، فيجيبها بقوله :

لا بل نبيعك ما حييت فهذه ... يمداك عقند لما يرضيك

... وفي الفصل الثاني . تبدو هيام وهي تستطلع أخبار بيبرس من علا . وتعرف من حديثهما أن الملك لويس التاسع سيمثل بين يدي شجرة الدر . ونرى « أقطاى » ساخطا يرمي شجرة الدر بالاستبداد ، ويدخل المصريون وعلى رأسهم القاضي فيلمحون ناحية ، وسرعان ما يثير أقطاى أسباب النزاع بين المصريين والمماليك ، فيهدئهم القاضي ، ويدخل أيبك وقد أصبح زوجا لشجرة الدر فيعلن قدومها . ويخبر القاضي بأن الملكة قد عينته قاضيا لقضاة النيل ، واختارت بهاء الدين وزيرا لها .

وتدخل شجرة الدر ومعها مارسكة فرنسا ، ويقدم إليها ملك الإفرنج فتستقبله وتعقد معه ميثاقا ، ويأتي بيبرس فيخبرها بأن رسول أمير المؤمنين قد جاء ليبلغها أنه إذا لم تسترض أمراء الشام فسيعزلها ، فترفض شجرة الدر طلب أمير المؤمنين لأن في ذلك سبة لمصر ... ويدخل الرسول فتقول له شجرة الدر

أنا وارثت بين مالك وعرش ... فهداني ربي الصراط القويما
إن في مصر أمة تكبر الرأ ... ي وتأبى في عرضها أن تسوما

ويخبرها الرسول بأن مولاه يقبل اعتزالها فتعلن اعتزالها ، فيغضب أيبك ، ويثور المماليك والمصريون ، فتقول أمام شجرة الدر :

لا تزلوا إن التعصب تنسى ... عن هداها الرشى ، فيه العقول
نحن نبني الدولات تبقى على الدهـ ... ر وأما أشخاصنا فتزول

وعندما يسألونها عمن تختار ليخلفها ، تعلن اختيارها لعز الدين أيبك ، والأشرف موسى ، فيوافق الجميع على رأيها ما عدا أقطاى ، فتنهاه شجرة الدر عن إثارة الفتنة ، ويعلن أيبك

سياسته بقوله :

نحن قوم إذا عهدنا وفينا ... والتزام الوفاء بالحر أحرى
نحن قانون والمآثر عمر ... يتخطى الفناء والناس ذكرى
يحفظ الله من شقاق وخلف ... شعب مصر ويحفظ الله مصرا

... وإلى هنا تنتهي حياة شجرة الدر الملكة .. وتبدأ حياتها كامرأة .. وفي هذا القسم من المسرحية ساير المؤلف خطوط التاريخ .. وربط بين الأحداث بالصراع السياسي الذي صوره بين أمراء الشام ومن ورائهم أمير المؤمنين من جهة ، وبين شجرة الدر من جهة أخرى ، وقد انتهى هذا الصراع باعتزال شجرة الدر الملك . ولأن الصراع هنا لم يتخذ صورة مصرية ، بل كان في صورة القصة على لسان بيبرس ، وقطز والرسول فقد غلب على هذا القسم جانب العرض التاريخي . على أن هذه الناحية لا تمنعنا أن نذكر للمؤلف توفيقه في ربط الأحداث التاريخية وتنسيقها في صورة فنية مشوقة ، فكل مشهد لاحق نتيجة للمشهد السابق . وقد صب المؤلف المعلومات التاريخية في مشاهد مرئية كل مشهد منها يتضمن حادثا ، وكل حادثة مبنى الحركة فلم تطغ هذه المشاهد التاريخية ، على الحركة المسرحية .

.. وتدور أحداث الفصل الثالث في قاعة العرش بقصر القلعة .. . فنرى هيام وأقطاى وقد اتفقا على الإيقاع بين الملك عز الدين أيبك وشجرة الدر الزوجة . وتأتي شجرة الدر فتسمعها تحدث نفسها .. وتشاهد الله على أن تحمي مصر وتعمل على إبعاد كل من تحدثه نفسه بالإساءة إليها .. وتخرج شجرة الدر .. ويأتي أمراء المماليك والمصريون .. فيطعن أقطاى في المصريين فيحدث النزاع بين الجانبين من جديد ، ويتدخل قاضي القضاة من المصريين .. وتدوي الأبواق .. ويأتي الملك عز الدين فيجلس على العرش .. ويحييه نائب من المصريين .. فيرد عليه الملك .. وفي رده الزهو على مصر .. والطعن في شجاعة المصريين .. واتهامهم بالفرار من ميدان القتال : فيدفع قاضي القضاة التهمة عن المصريين .. فينهره الملك .. ويأمر المصريين بأن يحشروا في شأنهم حتى يصدر أحكامه فيهم .. ويثير أقطاى حفيظة الملك عليهم .. فيعلن أنه سيذيقهم نقمته ، وسيعزل قاضي القضاة والوزير .. وهنا تطلب منه أقطاى أن يتمهل حتى لا يغضب شجرة الدر .. فيتراجع عز الدين .. ويطلب منه أقطاى أن

يأخذ رأيها !.. ويهم الملك بالخروج فتدخل هيام.. وتخلو به.. وتخبره أنها رسولة من قبل زوجته أم علي.. وأن ولده مريض.. فيضطرب ويخبرها بأنه سيزورها. فتطلب منه أن يحاذر حتى لا يغضب شجرة الدر، فلا يبالي بتحذيرها.. وتأتي شجرة الدر اثر ذلك عن استبداده بالمصريين، وتسدي إليه النصح فلا يستمع لها.. ويتنكر عليها تدخلها..

وفي الفصل الرابع.. نرى شجرة الدر تنظر في مرآتها، متحسرة على الشباب الذي ولى.. ويأتي الملك فتستقبله في حفاوة المرأة بزوجها.. ولكنه يراوغها.. ويطلب منها أن تسلمه كنوز الملك الصالح.. حالاً.. فينفجر فيها ثائراً.. ويخبرها بأنه سيتزوج عروساً من بنات ملوك الشام.. ويتركها وقد جردها من نفوذها.. وكرامتها.. ومعلم ذلها بعبارات مثيرة..

ويدخل عليها قاضي القضاة، وبيبرس، وقلاوون، ويلحون في قتله لتخلص مصر من ظلمه فترفض، وعندما تعلم أنه يطردها من قصرها.. تذعن لرأيهم.. وترسل إليه خطاباً تتوسل إليه فيه أن يقضي الليلة في جناحها... ويأتي الملك إليها.. فتستقبله في حفاوة... وعندما يذهب إلى الحمام تأمر أعوانها بقتله.

... وفي هذا القسم من المسرحية، نرى المؤلف قد ساير التاريخ في تصوير الجانب السياسي من حياة شجرة الدر وأضاف إلى التاريخ بتصويره الجانب الإنساني من حياتها، وبربطه بين التاريخ والإنسانية خلق على المسرح عالماً نابضاً بالحياة.

وفي هذين القسمين، استطاع المؤلف أن يرسل أفكاره، ويصب تجاربه ومثله وآراءه في ذلك الإطار التاريخي، فتغذ إلى الواقع، وربط الشاهد بماله الذي. هذا، والجديد من هذه المسرحية، هو أن المؤلف لم يتابع ما سار عليه المرحوم جورجي زيدان وغيره ممن أنشأوا أعمالاً فنية من شجرة الدر من إهمال تصوير الجانب المصري من أعمالهم، بل هو يتصوير للمصريين في مسرحيته تصوير آمالهم، وآلامهم، وبهذا ربط بين الواقع التاريخي والحاضر الواقعي.

ولعل الدافع الذي حدا بشوقي بك إلى كتابة مسرحية من كيلوباترا، هو نفس الدافع الذي حدا بعزيز باشا أباظة إلى اختيار شجرة الدر لتكون موضوعاً لمسرحيته. ولعل السبب في هذا الاتفاق بين الشاعرين، هو التشابه بين الملكتين، وبروزهما في التاريخ المصري. بل إن هناك تشابهاً كبيراً بين شخصية أنوبيس الكاهن المصري، وبين شخصية قاضي القضاة، وكلاهما كان موضع ثقة مليكته ومشيرها. وكلاهما وطني يعمل لصالح وطنه.

ولقد دافع شوقي عن كيلوباترا لأنه رآها أكبر مما صورها به المؤرخون، ودافع عزيز باشا عن شجرة الدر لأنه رآها أكبر مما صورها به المؤرخون. فالشاعرية التي ألهمت شوقي الكتابة عن كيلوباترا، هي التي ألهمت عزيز باشا الكتابة عن شجرة الدر.

والصراع المسرحي الرئيسي في هذه المسرحية يقع بين عز الدين أيبك وشجرة الدر ولم يبدأ هذا الصراع إلا بعد اعتزال شجرة الدر الملك واعتلاء أيبك العرش. وذلك لأن شخصية أيبك كانت تابعة لشخصية شجرة الدر الملكة، ولم تنفصل من هذه التبعية وتتحرر إلا بعد اعتزالها. فقد بدأ أيبك متملقاً، طموحاً، إلى أن تزوج شجرة الدر، ثم أصبح متفانياً في خدمتها إلى أن اعتزلت، وبعد أن أصبح ملكاً، بدأت شخصيته تنفصل منها، وبدأ الصراع بينهما إلى أن انتهى بقتله. ولو أحسن المؤلف استغلال شخصية الجارية هيام، وأقطاي، في النصف الأول من المسرحية، بجعلهما أحسن استغلالهما من الإيقاع بين شجرة الدر وأيبك في النصف الأخير منها، لسكان توفيق المؤلف في بناء المسرحية كاملاً. ذلك لأن هيام وأقطاي على الرغم من كراهيتهما لشجرة الدر وتآمرهما عليها في النصف الأول من المسرحية، فإنهما لم يؤثرا على الأحداث ولم يتقدما أية خطوة إيجابية بالعمل المسرحي. هذا، ولم نستطع أن نتبين من المسرحية الدافع الشخصي الذي يدفع هيام المرأة إلى معاداة شجرة الدر؛ بل إن المؤلف قد جانب الصواب عندما جعلها - وهي المرأة - تعمل على التفرقة بين أيبك وشجرة الدر لحساب امرأة أخرى هي أم علي. ولو قارنا بين شخصية هيام عند عزيز باشا، وشخصية سلافة عند جورجي زيدان، لوجدنا أن تصوير الثانية أوضح وأصدق من تصوير الأولى، وأثر الثانية على الأحداث أبرز بكثير من الأولى. كذلك جعل المؤلف شخصية أقطاي حائرة مترددة في النصف الأول من المسرحية وكان في مقدوره أن يستغلها في تقوية الصراع المسرحي لو جعل تأثيرها إيجابياً على الأحداث في هذا القسم.

وإذا تناولنا الجانب الإنسانى فى هذه المسرحية ، وجدناه سامقاً من حيث التصوير الفنى . فقد انبثق الصراع المسرحى من داخل حس عز الدين . تلك النفس الطموح التى تمنى شجرة الدر لتحوز رضاها ، وتتفانى فى خدمتها لتجتذب أنظارها ، وتربص بقلبها المحروم لتنفذ إليه ، حتى إذا ما أصبح زوجاً لها ، بدأ يتظاهر بالثبرة والحماس ، ليرقى سلم المجد ، وليبدو فى نظرها جديراً بالملك . فإذا ملك ، بدأ يتخلص منها ليلاً فأملا ، ولكنه وهو السيد الذى تسود الطاعة يخشى بأسها ، وإزاء تحريض أقطاى وعيام ، وطعنهما فى كرامته ، ماتت عليه كبرياء الضعيف وكرامة الذليل ، فانفجر ليعرض البئس الذى فى شخصيته . فعندما كان عز الدين يخفى حقيقة نفسه ، كان الصراع خفيفاً فى أغوار نفسه ، وعندما تغيرت الأوضاع ، فارتفع الوضيع ، وانخفض الرفيع ، بدأت حقيقته تظهر وبدأ التعارض بين نفسه ونفس شجرة الدر . وعندما وصل الصراع إلى القمة لجأت تلك النفس الحيرة إلى الشر لتزيل الشر ، وبتجسيم هذه الخطوط النفسية الدقيقة استطاع المؤلف أن يوصل المأساة إلى نفس المشاهد .

وكان المؤلف موفقاً فى تصوير شخصية شجرة الدر وتحديداً بها ملكة وانتهى بها إلى امرأة ككل النساء ، تحب وتثار ، وتحزن ، وأمل ما أظهره المؤلف فيها من ضعف بشرى ، حتى عندما سمعت صراخ زوجها فترددت وحاولت إنقاذه ، هو الذى ساعد على بث الحياة فى هذه الشخصية ، لأنها استمدت حياتها من المشاعر الإنسانية .

والذى نلاحظه أن المؤلف تمسك بإظهار أعلام التاريخ فى تلك الفترة كأقطاى وقطز وقلاوون وبيبرس . وقد أدى تعدد الشخصيات إلى عدم التركيز فى تصويرها ، فبدت فى المسرحية شخصيات مكررة لتشابهها فى موقفها من الأحداث وتأثيرها عليها .. فأقطاى وقطز فى صف عز الدين أيبك ، ولم تظهر حقيقة ذلك إلا فى نهاية المسرحية . لهذا ، كان على المؤلف أن يكتفى بأحدهما ، ويبرز بوضوح معالم شخصيته ، ويشركه فى الصراع إلى جانب عز الدين من أول المسرحية . وكذلك بيبرس وقلاوون فهما فى جانب شجرة الدر ، وتأثيرهما فى الأحداث واحد ، فكان من الخير أن يقتصر المؤلف على أحدهما حتى لا يؤدى تعدد هذه الشخصيات إلى تشتيت انتباه المشاهد . وكذلك فى تصويره للمصريين ، كان من الواجب عليه أن يقتصر على شخصية قاضى القضاة وهى الشخصية الأولى بين المصريين . ومن الإنصاف أن نقرر أن شخصية قاضى القضاة قد رسمت فى دقة وعناية ، وأن المؤلف قد شحنها بالوطنية المصرية ، فكانت معبرة عن الآمال والآلام المصرية ، وكانت من أهم العوامل فى ربط التاريخ بواقعنا الاجتماعى . وكان تأثيرها قويا فى إحداث التجاوب بين الممثل والمشاهد .

ومن حيث التصوير العقلى للشخصيات ، كان المؤلف موفقاً فى تصوير عقلية شجرة الدر ، وعقلية عز الدين أيبك ، إلا أنه قد أنطق بعض الخدم كسنجر وسلامة بالحكمة والفلسفة فى بعض المواقف ، وبهذا تجاوزت هذه الشخصيات حقيقتها الإنسانية . كذلك وزع المؤلف آراءه وتجاربه العامة على شخصيات الرواية ، فأنطقها بها ، فبدت أغلب الشخصيات فى مستوى عقلى واحد ، وكان على المؤلف فى هذه الحالة أن يخصص شخصية واحدة ، لينطقها بآرائه ، ليفرق بين رأيه ورأى الشخصية الروائية فى الموقف المسرحى ، كما فعل ألفريد دى فينى فى مسرحية « شاترتون » حيث كانت شخصية « كويكر » هى شخصية المؤلف .

وكما فعل بومارشيه ، فى مسرحيته « زواج فيجارو » حيث جعل فيجارو ينادى بآراء المؤلف أراد أن يوصلها إلى الشعب الفرنسى .

وفيما عدا هذا ، فالمسرحية تعد نموذجا للمسرحية التاريخية ، من حيث تصوير الشخصيات والبناء الفنى ، والأسلوب الشعرى .

وقد أخرج المسرحية الأستاذ نوح شاطى ، فصدر فى إخراجه من وعى كامل بالمسرحية وجوها ، وعصرها التاريخى . وقد هداه هذا الوعى إلى خلق الحياة التى رسم تصميمها المؤلف فى النص المكتوب ، فالمناظر كانت رمزية فى بعض الفصول ، واقعية فى البعض الآخر . وهى فى كلتا الحالتين تشيع الجو التاريخى للمسرحية . وقد بدت الأبهاء ، والأعمدة والعقود العربية الرائعة فى صورة طبيعية بعيدة عن الصنعة والافتعال . وكانت ألوان هذه المناظر هادئة حتى لا تجذب انتباه المشاهد فينصرف عن الممثلين . وكانت الثياب ذات ألوان فاقعة لتشد نظر المشاهد إلى الممثل .

ولقد ساعدت الإضاءة على خلق ذلك الجو التاريخي الساحر فكانت جزءاً مكملا للمنظر وكانت طبيعية في مسايرتها الوقت .

وليس من شك في أن للمخرج الفضل الأول في تحريك الممثلين في هذه المسرحية الزاخرة بالحركة ، وكذلك في تنظيم مجموعة الممثلين الثانويين وبث الحياة فيها .

ولقد بدا مجهود المخرج في وحدة كاملة طابعها الطبيعية والصدق حتى ليشق على العين الناقدة أن تلمس خطأ أو مغالاة في أية حركة أو منظر . وإنه لمن الإنصاف أن نقرر أن المخرج قد وهب كل ما عنده من فهم وموهبة وفن في إخراج هذه المسرحية فكان ممتازاً في إخراجه .

وكانت الآنسة أمينة رزق بدور شجرة الدر . وهذا الدور هو العمود الفقري للمسرحية من بدايتها إلى نهايتها وقد أحست أمينة رزق بخطر هذا الدور فشحذت له عقلها وإحساسها الرهيف وطاقتها الخارقة وفنها الصادق فجسمت الألوان المختلفة التي تصور معالم الشخصية التي تمثلها . وكانت موفقة في إشراك المشاهد معها وانجذابه نحوها في الأزمات التي كانت تقاسيها على خشبة المسرح ، وإذا كانت أمينة رزق ممثلة ناجحة ، فقد بلغت في هذه المسرحية درجة من النجاح لم تبلغها من قبل .

وقام الأستاذ أحمد علام بدور عز الدين أيبك . والشخصية التي مثلها ناعمة ملساء تخلو من العنف في القسم الأول من المسرحية . وفي هذا القسم كان علام يضغط على العبارات التي أراد المؤلف بها إبراز معالم شخصيته الهادئة الطموح . وفي القسم الثاني عندما بدأت شخصية أيبك تتطور بوجهها الحقيقي ارتفع علام إلى القمة وظل محتفظاً بهذا المستوى حتى نهاية المسرحية .

وقام الأستاذ سلامى فهمى بدور قاضي القضاة فصدر في أدائه عن إحساس قوي بأهمية هذه الشخصية في ربط الواقع التاريخي بالمجتمع الحاضر . فكان يلهب القلوب بإيمانه الوطني ويبهر المشاهد بعباراته الرشيقة التي تنضح من نفسيه المتكلم .

وبعد ... فهذه هي الفرقة التي كادت أن تعصف بها الأهواء ، وتلقى بأفرادها في زوايا النسيان .. وقد أثبتت اليوم أنها جديرة بالحياة ...

أنور فتح الله

البريد الأدبي

إلى حضرات الأساتذة الجامعيين :

هذه قضية الجامعة ، وقضية الكلية التي تناست من رسالتها السامية وأغفلت مبادئها الحماسية فنسيت أنها خلقت لتعم العلم والثقافة والحرية جميعاً فجحدت حق رجل من المصريين فأخذت شأنه — رجل ليس مغموراً ولا نكرة ولا متخلفاً في ركب الحياة ، تخرج في مدرسة المعلمين العليا حين تخرج فلم يدع العلم ولا انصرف عن الكتاب فأصاب ثقافة عالية أخرى ، نالها من طول ما قرأ ومن طول ما اطلع ، ووصل أسبابه بأسباب الصحافة ينشر خواطر عليه حيناً وأفكار عقله حيناً ، وعبر زماناً ثم ضاق بالوظيفة أو ضاقت هي به فتقدم إلى كلية من كليات الجامعة يطمح أن يكون طالباً بين شبابها بعد أن طوى عمر الشباب ، فجاءه رد « المسجل » يقول « . . . ونأسف لعدم إمكان قبولكم لأنكم لم تكونوا إذ أن القبول مقصور على الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيهية . . . »

وخيل للرجل أن « المسجل » لا يعلك أن يرد طالبه على حين يقول للأمثلة فكتب إلى عميد هذه الكلية يقول « . . . ولقد رأيت في هذا الرد وثيقة علمية جامعية ، ووثيقة فريدة في بابها ؛ وهي — إلى ذلك — ذات قيمة خاصة لي ولكل من توسوس له نفسه أن يلتحق بالجامعة طمعاً في الاستزادة من العلم فحسب فأردت أن أنشرها أمامكم لأرى رأيكم »

ولبث الرجل حيناً ينتظر رأي العميد ، ولكن « صاحب السعادة » أمير أديبه لم يلق بالاً إلى الأمر ولم يلق السمع إلى الشكوى . ولست أدري أكان ذلك سهواً منه أم إهمالاً أم استهانة لشأن الرجل الذي لم يعرفه بعد .

ورأيت أنا في هذا العنت وهذا التناقض ما يمس الروح الجامعية الحرة مساً عنيفاً يشوه معاني الحرية والعلم التي السمت بها الجامعة منذ أن كانت فأردت أن أعيد الرأي الذي عزب عني في حضرات الأساتذة الجامعيين الأجلاء ، وفي رأيي أنهم لن يعملوا بالرأي وهم قادة الرأي ، ولا أن يعملوا بالفتوى وهم نبراس الهدى .

وعجبت أن تقبل الكلية « الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيهية » وترفض طالباً حصل على دبلوم المعلمين العليا ، وأشكل على الأمر فخيل إلي أن دبلوم المعلمين العليا — في رأي الجامعة — أقل من شهادة التوجيهية . فبدا لي أن هذه المشكلة العلمية الجامعية مشكلة ذات بال تقف بإزائها عقول أساتذتنا العلماء حيناً من الزمن . وأنا الآن في انتظار الرأي الذي يطمئن الخاطر أولاً فلا جناح علي إن أنا بحثت هذا الأمر على نطاق واسع أفصل فيه ما أجملت هنا ولي أمل لا يفتر يرفعه كل متلهف يغار على الروح الجامعية ويضن بها من أن تنهار في أكبر جامعات الشرق

كامل محمود حبيب

أين شعراؤنا ؟ ...

تمر بنا مناسبات قومية كثيرة ، وأحداث وطنية هامة ، ونودع عظماء وقادة ، ونستقبل أعياداً وطنية ، فلا نسمع شاعراً يصور لنا بالقريض إحساسات الشعب وشعوره ، فيسجل تلك الأحداث في قصيدة يدبجها ! ...

فأين شعراؤنا ؟! . .

وهل يهيمون في واد غير وادينا ؟! .

وما لهم صامتين . . لا نحس منهم من أحد ، أو نسمع لهم ركزاً ؟! —

ترى . . هل هجرتهم شياطينهم . . أم ملت عرائسهم التوالي ؟! . .

لقد ترك لنا الشعراء السابقون تراثاً من الشعر سيظل خالداً ما دامت السموات والأرض . . فهذا « شوقي » لم يترك مناسبة من المناسبات ، داخلية كانت أو خارجية ، إلا قال فيها الشعر عذباً ، طلياً —

وكذلك كان « حافظ ابراهيم » . . وكذلك كان « خليل مطران » . . وكذلك كان « علي الجارم » . . وكذلك كان « علي محمود طه » . فأين خلفاؤهم في مملكة القريض ؟! . .

كيف لا تحرك كل تلك الأحداث مشاعر الشعراء وتهيجهم قول الشعر، فيرتلون من آياته ما يروي ظمأنا!...

أين أنتم أيها الشعراء؟!..

ليحمل كل منكم قيثارته... فكلنا شوق إلى هذه القيثارة!...

عيسى متولي

رد على نقد «في رحاب الصوفية»

تفضل الصديق الأديب الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر فخص كتابي «في رحاب الصوفية» بكلمة تعريف في الرسالة الزهراء، ولم تصده زمالته السابقة ولا صداقته الباقية عن النقد والوخز الخفيف، وقد كنت أود لو أسلم للبدر ما كتب بضوء بيانه من مؤاخذة، إذن لسلمت راضيا، ولكني معذرة إليه إذا ما رأيت في تعريفه بالكتاب ما يستحق الرد أو التفنيد.

فهم الأستاذ بدر أن الكتاب اتسم الجامعية، وبعد مجانبة للحقيقة والواقع، وأظن أن البحث في شطحات الصوفية ودرجاتها الفيوية والرذوقة، والكلام في وجوه التفسير الإشاري التصوفي للقرآن، وفي شروط الدعاء وأهدافه العامة والخاصة في الإسلام، ليس من الحديث للعامة، بل هو من خصائص الخاصة: وهناك في الكتاب فصول توفر لها «العمق» الذي يفتقده الأستاذ، ومن أمثلة ذلك استخلاص الصوفية للخير من مواطن الشر، وما في مناجاة ابن عطاء الله من أسرار، وما في ورد الصباح وورد المساء من رموز وذكر.

ولا يمنع هذا أبداً من أن يكون المؤلف قد حاول بما استطاع أن يدني مسائل الكتب الدقيقة العميقة من الألباب بوضوح الخطاب!.

ويأخذ الناقد على الكتاب أنه لم يذكر معنى كلمة التصوف؟ وقد فاته أن خطة الكتاب كما جاء في المقدمة أن يكون جولة في رحاب الصوفية بحرية على متابعة المطولات، والحديث بعد هذا عن معنى الكلمة مستفيض مشهور، وقد طال الكلام عن اشتقاقها أو استقاقها من الصمة أو الصفة أو الصفاء أو الصوف أو خيلة صوفة، أو غير ذلك؛ وللمؤلف قبل هذا بحث طويل منشور عن «التصوف والإسلام» وفي كلمة (تصوف) حقها من البحث، ولو في ثلاثة هو على أقل تقدير!.

ويتمنى الناقد لو أن الكتاب تعرض لأدعياء الصوفية في الفرى، وأظن كما يظن أن مجال البحث الفني يترفع عن مثل هذه المجالات، وفوق هذا فإن المؤلف لم يسر في ركاب الصوفية على الدوام، بل تقدم وميز بين طيبهم وخبيثهم، وذكر لهم شطحات وصفها بأنها طائشة شاذة غريبة، وفي ص ٢٠ قال ما نصه: «وهؤلاء الأدعياء هم أخطر الناس على المجتمع وعلى الحياة وعلى الأحياء وعلى الملة الكريمة...» إلخ. وفي ص ٦٦ قال عن تراث الصوفية: «ولطبيعة الحال ستري تراثاً ضخماً شتيت الأصناف والألوان، وسترى فيه ما يعجبك وما يغضبك وما يروقك وما يسوءك» إلخ...

أليس هذا دليلاً على أن المؤلف لم يطلق المدح للصوفية، بل خصه بالصادقين الطاهرين الطيبين منهم؟.

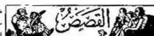
أما بعد فقد فهمت من كلام الناقد أنه يزن الكتاب بميزان النعيم، والكتاب النور المضبوط في طبعه، الدقيق في حروفه، لو طبع كما يطبع البارعون في تكثير القليل لكثر مثلا حجمه كبره وعمقه، كما أحبه موضوعه ومنزاه؛ وإنه لمشكور على كل حال!

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

بيتان لحسان بن ثابت:—

جاء في كتاب (من أضواء المنفى) الذي نشرته دار المعارف في أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ للأستاذ (سامي الكيالي) بيتان من الشعر نسبهما لابن عباس وهما:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فني لساني وسمعي منهما نور



على الشاطئ المجهول

للأستاذ أحمد شاهين

قال الزاهد الرحالة أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص ..

— في يوم جميل صفت سماؤه واعتدل هواؤه ركبت البحر في لفيف من الصوفية نريد بعض البلاد الإسلامية التي انتهى إلينا من أخبارها ما حبب إلينا السفر إليها وزيارة العارفين وأهل العلم فيها، أولئك الذين نرتهم الله في الأرض كما فرق النجوم في السماء للنور والهداية. وولاة الحق من الخلائق، ونحن في الناس النور عند هؤلاء. بالتنقل والأسفار أشبه بالتجوال بعد أن صاحبنا لا نتكون من زهرة الدنيا ومتاعها بل من زاد الآخرة وكفى. والسفر عندنا بعض أساليبنا الصوفية في رياضة النفس الأمارة على الرضا بالقدر وقبول الحياة الدنيا في مختلف أشكالها وأحوالها، ومن سنن الحياة الكائنة أنها لا تثبت على حال؛ وقد لا يشق على النفس إذا اعتادت التحول من مكان إلى آخر ومفارقة الأهل والأحباب وما ألفت من الوطن، والشاهد أن تتحول مع الحياة على الحلو والمر؛ وأن تصبر لصروف الدهر فلا يترب منها صوابها أو يضل

ضلالها إذا مرت عليها الأحداث والمكاره... بل ... وإن من سنن هذه الحياة أن لا تستقيم الأحياء على الأرض إلا بنور من السماء، فإذا ما حادت منهم جماعة عن ذلك النور السماوي تناولتها سنة الفناء الأصلح بالمحو والانقراض فلم تبق منها إلا آثارها اتخذت أخبارها لأمثالنا من السائحين في الأرض للنظر والمعرفة والاعتبار.

... وسارت بنا السفينة باسم الله مجريها ومرساها في جو صحو وماء رقراق، وذهب قرص الشمس يتهادى بجوارها على صفحة الماء الفضية التي رقت عليها أشعة الأصيل فتماوجت بألوان كبريق الذهب والفضة وراح الشاطئ الأخضر يتباعد رويدا رويدا حتى اختفى وأمسينا بين الأزرقين... البحر والسماء، ثم أقبل الليل فتوارى عنا قرص الشمس كأنما خر من الأفق النائي إلى أعماق المحيط، وما أروع الطبيعة إذا خلت بياض النهار وغشيها الليل بظلامه الدامس وصمته الرهيب.

قال أبو إسحاق — وفي روعة الجلال الباهر ومظاهر الإبداع الزاهر وجمال الطبيعة الساحر نسينا نفوسنا وحلقت أرواحنا في ملكوت السموات والأرض، وغنى الملاحون حبورا بهذا الجو الجميل وتعالت أصواتنا بالتهليل والتكبير والثناء على رب هذا السكون العظيم فإنما الطبيعة محرابا كبيرا تتجلى فيه مظاهر القدرة الأزلية في شتى الرؤى والصور، فلا سكون نظرات الدارس في مشاهد الطبيعة إلا كتأملاته في سور القرآن. والطبيعة كتاب الله المنشور والقرآن كتابه المسطور، وكلاهما تعبير عن وجود الله وكماله، بيد أن التعبير هنا بالآيات والسور المحكمة، وهناك بالمناظر والصور المجسمة؛ ومن ثم نجد القرآن كثيرا ما يحيل العقل في فهم معانيه وتحقيق براهينه على كتاب الطبيعة الخالد.

قال: وإنا لكذلك في نشوة وتأمل، وخشوع وتبتل، وقد قلنا أن البحر أشبه ما في الحياة بالحياة فما ينفك يتلون ويتبدل وتتعاقب عليه المكاره والأهوال، ودوام الحال فيه من المحال، إذا بالسماء الصافية وقد غارت نجومها وتلبدت غيومها، وإذا بالريح الرخاء تهب علينا عاتية هوجاء، فهاج البحر وماج، وصح السجاج وتلاطمت من حولنا الأمواج وزمجرت الفلك وبدت الأعاصير

قلبي ذكي، وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

والواقع أن هذين البيتين ليسا لابن عباس رضي الله عنه وإنما هما لشاعر الرسول (حسان بن ثابت)، قالهما عندما فقد بصره. وقد ورد البيتان في ديوان « حسان بن ثابت الأنصاري » الذي شرحه المرحوم الأستاذ (عبد الرحمن البرقوقي) والذي نشره صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر، في صفحة ١٦٥

عبد الفؤاد سليمان

المدرس بمدرسة سوهاج

الهوجاء تصارعها الأمواج الثائرة تتقاذفها هنا وهنالك وهنالك — هاجت الريح فهاجت بنا المخاوف وأرعدت السماء فأرعدت الفرائص واضطربت القلوب بين الجوانح، وأشرفنا على الغرق واشتد الهول فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . هنالك أقبلنا على الله منيبين إليه تائبين، وبسطنا أيدينا بالتوسل والضراعة، ولو أن أشد الناس عنادا وأشدهم إلحادا ركب البحر فجاءته ريح عاصف وأحاط به الموج من كل مكان ورأى له شبح الموت الرهيب يسعى إليه في اللجة بين ريح عاصف ورعد قاصف وبرق خاطف وسحاب مركوم لانجابت الغشاوة عن بصيرته ولآمن لساعته ؛ ذلك بأن دواعي الإيمان تم آخذ بأمراض النفس الضالة كما تسقط أشعة الشمس على قطع الجليد. من هنا دعا الإسلام إلى الإيمان بالرهبة والخوف ، وأسال من الحق بالبرهان وبالسيف — ثم وقعت الواقعة وارتطمت السفينة واندفعت بها الأعاصير إلى صخرة عظيمة فتحطمت وتناثر في اليم أشلاؤها وركابها جميعا .

... قال أبو إسحاق : تحطمت سفينتنا ولكن لم نتحطم ثقتنا بالله ورحمته ولطفه فتشبثنا بحطامها وعبرنا التيار الزاخر فجعلنا نغوص ونطفو والأمواج تتقاذفنا وقد غبنا عن الوجود حتى انتهينا إلى شاطئ لا ندري أي شاطئ هو فوقعنا على البر ساجدين شكراً لله الذي نجانا من هاته المحنة الرهيبة، فلما أصبحنا وجدنا أنفسنا بأرض كأنها واحدة من هاتيك السيارات الوعرة التي بخلت عليها الطبيعة بالحياة فلا ترى إلا أرضا هضابا شاهقة وكثبانا عريضة وصخورا سوداء وصحراء قاحلة تتراءى حتى كأنها تلتقي بالسماء عند الأفق البعيد، وكأن البحر قد اغتال متاعنا كما اغتال سفينتنا فانتشرنا في هذه الأرض المجهولة باحثين عن شيء يمسك علينا رمق الحياة من صيد أو نبات، وذهب النهار وذهبت جهودنا أدراج الرياح وعدنا من حيث أتينا وقد أنهكنا التعب وألح علينا الجوع فقضينا على الطوى ليلة أخرى، وعند مطلع الفجر قمنا إلى الصلاة، ثم تفرقنا في جهات شتى بحثا عن القوت حتى انقضى اليوم ولم نعثر على شيء. فبتنا بليل أليم ، فلما تنفس الصبح وصلينا الفجر لبثنا في موضعنا سهوكي حيارى حتى قال قائل منا ما ينبغي لنا أن نستسلم للموت هكذا وإن الرزق ونحن ها هنا قعود بالأمرون ولكن يطلب الرزق ثلاثة : العمل والأمل والتوكل على الله، فانتشروا في الأرض يتشر لكم ربكم من رحمته. وقال آخر تعالوا نجعل لله على أنفسنا شيئا إن هو خلصنا من هذه الشقة ؛ فنذر بعضنا صياما ونذر بعضنا صدقة . وقال آخر أصلي كذا وكذا ركعة، ونذر بعضنا حجا إلى أن قال كل منا شيئا وبقيت أنا ساكتا لا أتكلم ، فقال أحدهم . مالك لا تجعل لله عليك نذرا فساءه يخرج ما بك فإنك حرى بأن تطلب الخير إن نويته ولا فإنك لا تجني من الشوك العنب؛ فقلت لله على أن لا آكل لحم فيل أبدا، فصاح رفاقي غاضبين وقالوا : أو نمزح في مثل هذا الظرف العصيب ؟ قلت تالله ما الهزل أردت ولا قصدت بقول مزاحا ولا دعابة ولكنني تخيرت شيئا فيما أدعه لله فما خطر ببالي ولا جرى على لساني إلا هذا النذر العجيب . ولعله وقع مني كما وقعنا نحن على هاته الأرض النائمة لأمر يراد؛ فلنطروا ما يقع بعدها مما كتبته لنا الأقدار على صفحات الليل والنهار .

... قال وتفرقنا في فجاج الأرض وتوغلنا في مسالكها حتى مال ميزان النهار واصفر وجه الشمس وطفقت تطوى ذيولها الوردية عن الآكام والرمال حتى توارت بالحجاب . وعاد رفاقي تباعا دون أن يجدوا شيئا إلا واحدا منا أبطأ في العودة حتى ظننا أنه قد هلك في أحشاء الصحراء من فرط التعب والإعياء . فارتمينا على الأرض سهوكي حيارى لا نكاد نقوى حتى على الكلام وإذا كذلك إذا بصاحبنا الغائب مقبلا علينا يلهث وينهد مما به من التعب فأنى عن كاهله شيئا وإذا هو ولد فيل صغير فاجتمع عليه رفاقي فاحتالوا فيه حتى ذبحوه وجعلوه مليخا مشويا وأقبلوا ينهشون من لحمه إلا أنا فقد لزمت موضعي فقالوا تقدم وكل ولا عليك من نذرك السابق فإن لك فيه عذرا ... قلت إني لأعلم أن الضرورات تبيح المحظورات ولكن قلبي يحدثني أن من وراء هذا الاتفاق العجيب سرا في ضمير القدر، وقد طعم أي ترك لحم الفيل منذ ساعة تقربا إلى الله وما كنت لأرجع في شيء تركته له ومن يدري . قد يكون هذا الذي جرى على لساني واستكرهتموه مني إنما هو المحذور أجل من دونكم لأنني ما أكلت شيئا منذ أيام وما أطمع في شيء آخر وما يراني الله أنقض عهده ولو مت وإني لمؤمن بالقدر راض بتصاريفه مهما تراءت لأن نتيجة قاسية فصبر جميل حتى يبلغ الكتاب أجله . واعتزلتهم

وأكلوا حتى فرغوا وسرعان ما غشيهم النوم فراحوا في سبات عميق وارتفع غطيطهم وخيت وحدي ساهراً أتألم مما في أحشائي من آلام الجوع وعيهات يأوي النوم إلى عين استبد بها الخوف أو برح بها الألم . ثم ألح عليها الصرع القاسي ؛ فذهبت أتشاغل بالإنصات إلى صفير الرياح في الصحراء وهدير الموج في البحر الخضم وأتأمل البدر المتألق في صدر السماء العاري وهو يرسل أشعته الفضية على الرمال والآكام ويشق طريقه بين النجوم متألقاً راجعاً كأنه يرنو لحاق التعسة وقد ساد السكون وخيم الليل الموحش على المكان فلولا خشرع عميق شغلني بعض الوقت عما أعانيه من الحيرة والألم .

قال أبو إسحاق وفي جوف الليل الصامت وسكون السحر الرهيب تراءى إلى حسي صياح بعيد جعل يقترب ويرتفع في الفضاء سريعاً وإذا فيل ضخم أقبل يقتفي أثر وقد، حتى وضع عليها وعاين أشلاء، ونحه التنبيح فصاح صيحة نكراء. أفزعت رفاقي من سباتهم بيد أنهم لم يستطيعوا النهوض أو الفرار عما أخذهم من الفزع والذهول؛ فأقبل عليهم الفيل وجعل يمد خرطومه إلى الواحد منهم فيشمه فإذا وجد منه ريح لحم الفيل رفع رجله ثم وضعها عليه وتحامل حتى يهشم أضلاعه فيقتله ثم يميل إلى صاحبه فيفعل به كذلك وقد انطرح القوم على الأرض وذهبوا يرددون الشهادة التي هي آخر الزاد من الدنيا . ورحت أنظر الفيل وهو يبطش برفاقي واحداً واحداً وقد جمد الدم في عروقي وانعقد من الروع لساني وخارت قواي ونضح جسدي بالعرق البارد وطارت نفسي شعاعاً فرحت أغمغم بالاستغفار والشهادة التي أدركت بها روحي الودعة حتى انتهى إلى الفيل فمد خرطومه إلى في فاغماً فاغمغم فاغمم ووجدت ريح الموت من أنفاسه فشم كل مكان في جسدي من رأسي إلى أخمص قدمي ثم رفع خرطومه وصاح صياحاً منكراً خلت أنه زلزل الصحراء ثم أقبل على ثانياً يقلبني ظاهراً لبطن ويشمني هنا وهناك وقد غبت عن الوجود . . . وأخيراً لف على خرطومه فرفعني في الهواء فظننت حضر الأجل ولكنه وضعني على ظهره ثم انطلق راجعاً فحمدت أن أثبت مكاني وانطلق بي الفيل يشتد عدواً فتارة يصعد بي في الهضاب وتارة ينحدر بي في الأودية ويدس في الدروب الملتوية ويقتحم الأحراج والأدغال الكثيفة والليل الحالك جاثم على الوجود وصفير الرياح يترامى إلى أذني في جوف الدنيا الحالكة كأنه نعيب الردة التي تريد أن تتخطفني من كل مكان؛ وكان الفيل يهدأ أحياناً فيساورني الأمل الضئيل في النجاة ثم يشتد عدوه فأتوقع أنه سيثور بي فيتخطفني عاود الاستغفار والتشهد .

. . . قال وانتهى الفيل إلى أرض مربضة وكان الفجر قد أطل على الدنيا ونثر أشعته الفضية الحالمة فتبدت لي طريق تشق المزارع الخضراء إلى حيث لا أدري ؛ فدنا مني الفيل فرفعني من ظهره، فقلت إنا لله جاء الموت ! بيد أنه ألقاني على الطريق ثم ولى مدبراً . واتخذ سبيله في الأرض هرباً فما عدت إلى صوابي إلا حين برزت الغزالة من خدرها وأضاءت المكان بنورها الذهبي الجميل فانبعثت أعدو في الطريق وأنا لا أصدق بالخلاص حتى بلغت قرية آويت إليها فعجب مني أهلوها وسألوني عن أمري فقصصت عليهم ما كان فزعموا أن الفيل سار بي في هذه الليلة مسيرة أيام واستطرحوا سلامتي فلبثت فيهم أياماً حتى صلحت حالي من تلك الشدائد، وتشدى بدني وعادت نفسي سيرتها الأولى . ثم خرجت في نفر من التجار إلى بلد على شاطئ البحر فركبته وأقلعت بنا الفلك في يوم طيب. ورزقني الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدي فبقيت نفسي مثقلة بهذه الذكريات الحزينة . ما عشت على أنسى أولئك الرفاق البررة الذين طالما طوفت معهم في الآفاق حتى لقوا حماً التنيار، وأطبقوا جفونهم إلى الأبد على الشاطئ المجهول.

أحمد شاهين